رواية

الطبعة 2

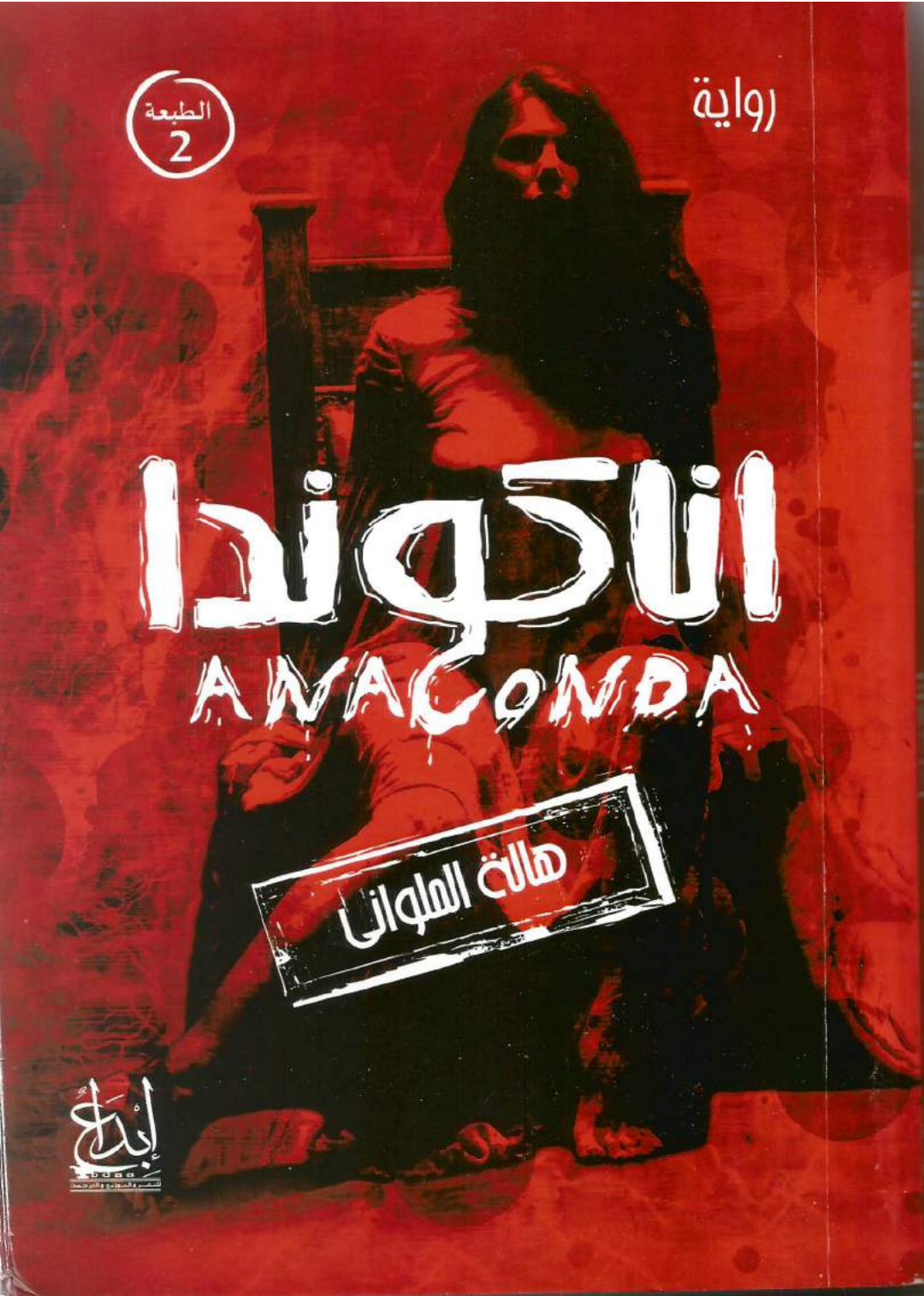

اناكوندا

ANACONDA

هالة الملواني

إبداع
Ibdaa
للنشر والتوزيع والترجمة

أناكُونْـــدا

الأفعـــى الســـوداء

هالة الملّواني

الكتـــــاب: أناكوندا- الأفعى السوداء
المـــؤلـــف: هالة الملواني
تصميم الغـــلاف: أ/ مروة فتحي
المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع
رقـــم الإيـــداع: 13262 / 2015
الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 022 - 2
الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 97 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة
هاتف: 0223952354 - موبايل: 01142050403
الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com
البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

أناكُونْـــــدا
الأفعـــى الســـوداء
هالة الملَّواني

الإهداء

إلى سيدة قلبي ونبض أحساسي وصديقتي الصدوقة؛

إلى من علمتنني معنى الإخلاص والوفاء والتضحية؛

إلى أمي... أحبك!!

- إلى من لم يسعفّني الوقت كي أسألَه عن أشياء كثيرة؛

إلى من لم تمهلني الدنيا ساعة أقبّل فيها جَبينه؛

إلى أبي... اشتقتك!!

الفصل الأول

-حمدًا الله على سلامتك

-أنا فين؟

قالتها وسام بوَهَنٍ شديدٍ وهى تحاول تفحُّص ملامح من يُحَدثها....

-انتى في المستشفى؟

-مستشفى؟ ليه هو أنا حصل لي إيه؟

حاولت وسام جاهدةً أن تجلس؛ بيْد أنها كانت تشعر بدوارٍ شديدٍ وألمٍ برأسها جعلها تتراجع للخلف وتضع رأسها مُجددًا على الوسادة بعض الوقت حتى تستعيد توازُنها.

فتحت وسام عينيها بصعوبةٍ وحاولت أن تبتلع ريقها من فمٍ كصحراءٍ جرداء لم تزرها المياه قطْ.

-خليكي مرتاحة، الدكتور قال انك محتاجة راحة!

-أنا بقالي قد إيه هنا؟

زحامٌ وضجيجٌ لا ينتهى، عيونٌ زائغةٌ وأخرى متفحصة، عيونٌ متلصِّصة متوجِّسة تحاول اقتحامى وأسْرِي في بَراثِنِها، أجسادٌ تمرُّ أمامي لا أكاد ألمحها أو أفسر تفاصيلها، يفحصون كل شيءٍ بدقةٍ متناهيةٍ...

"ماذا حدث؟ لماذا أتوْا منزلَنا؟ ماذا يريدون منَّا؟ وماذا يفحصون؟"

لم أعد أشعر بما يدور حولي، لم أعد أفهم ما يحدث؟ كل شىء انتهى في لحظة، دون أن أتحرك أو حتى أحاول إنقاذَها، إنهم يحملون جسدَها بعيدًا عني...

أنا من أكتشفت جثتَها، أنا من أبلغت الشرطة كي تُنقذها لكن سبقنا القدر جميعًا، وتحولت في لحظةٍ لجثة هامدة، لا أعلم لماذا يريدون تشريحَها؟ يثرثرون بكلامٍ لا أفهم معناه، مشاعري مضطربة، دموعى متحجرة في محبسها، نَفَسي يأبي أن يغادر رئتاي، خَارَت قُواي...

أري صور الجميع تمُوجُ أمامي، المشهد ضبابيٌّ أمام عيني، أشعر بدوارٍ شديد، أين ذهب الجميع؟ أين أنا؟

-كام يوم، يدُّوبك بتصحي وترجعي تنامي تاني، أعصابِك كانت منهارة والدكتور اضطر يدِّيلك مُهدئات ومُسكنات عشان ترتاحي وتنامي.

-مين حضرتك؟

-أنا المقدم طارق إسماعيل مباحث جنائية.

-أهلا بيك.

-أستاذة وسام! طبعًا حضرتك عارفة أنا هنا ليه؟

أومأت وسام رأسها بالإيجاب في صعوبةٍ دون أن تنُبس بِنت شَفَه، فلم يكن بداخلها رغبة في الحديث، فالتزمت الصمت تماما حتى تستوضح ما يجُول بخاطره، لكنها كانت توقن داخليا أنه لن يتركها قط دون أن يكتشف الحقيقة .....الحقيقة كاملة.

-أنا المفروض كنت استجوِبك بشكل رسمي من أول يوم حصلت فيه الجريمة، بس حالتك الصحية لم تكنْ تسمح؛ فأجّلت معاكي التحقيق لحد ما تتحسني، والحمدلله انتى أحسن دلوقتي، والدكتور هو الى صرح لي إني أقدر أحقق معاكي من غير خوف على صحتك.

-اتفضل يا سيادة المقدم أنا تحت أمر حضرتك.

قالتها وسام وبداخلها بركانٌ من الأحاسيس والمشاعر المضطربة.

دعا المقدم طارق مساعدَه النقيب وائل والكاتب للدخول، جلس الاثنان، وبدأ طارق في التحقيق معها رسميًّا..

"اليوم ١٦ ديسمبر٢٠١٣، الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة، في مستشفى القاهرة الجديدة، القضية رقم ٢٠٤٠٥٦ جنايات القاهرة، القضية الخاصة بمقتل المجني عليها منة توفيق عزت...

وحيث إن الشاهدة قد تعافت واستردت وعْيَها بالقدر الذي يمكن معه استجوابها في القضية؛ وبناءً عليه نفتح تحقيقًا رسميًا بحضور كلٍّ من المقدم طارق إسماعيل مباحث القاهرة؛ ومساعده النقيب وائل وفى حضور الشاهدة الرئيسية نبدأ التحقيق مع الشاهدة في ساعته وتاريخه بتوجيه هذه الأسئلة:

س: اسمك وسنك وعنوانك ووظيفتك؟

اعتدلت وسام في جِلستها وحاولت جاهدة أن تحافظ على توازُنها، وبدأت في الحديث بصوت مضطربٍ متألمٍ...

-اسمي وسام توفيق عزت، عندي ٣٢ سنة، وساكنة في فيلا ٥ شارع التسعين التجمع الخامس، بشتغل في قسم الحاسبات بالشركة المصرية التجارية الحديثة في مدينة نصر

-أستاذة وسام! إيه علاقتك بالقتيلة؟

-أختي .....من بابا.

-أستاذة وسام إيه اللي حصل بالظبط يوم الحادث؟

تنهدت وسام في ألمٍ وأغلقت عينيها لتتجرع ألمها وحزنها في يأسٍ، ثم استطردت بصوتٍ خفيضٍ.

-رجعت البيت حوالي الساعة ستة ونص بعد ما خلصت شغلي، دخلت أوضتي غيرت هدومي، وبعدين دخلت المطبخ طبخت وأكلت، ودخلت أوضتي بعد كدة أتفرج على التليفزيون، حوالي الساعة تسعة وربع بالليل خرجت عشان أحضر عشايا، عدّيت من جنب أوضة منة، لاقيت بابها مردود مش مقفول، وديه مش طبيعتها انها تخرج وتسيب باب أوضتها مفتوح، قربت عشان أقفله لمحت .....رجلها .....ودم، فتحت الباب بسرعة.....لاقيتها واقعة على الأرض والدم مغطيها ومغطى الحيطان والعفش، زي ما تكون ماسورة دم وانفجرت في الأوضة وفى إيديها سكينة غرقانة دم وهى مدبوحة.

صمتت قليلاً تحاول التماسك، لكنها لم تستطع وانهمرت دموعها رغما عنها.

اقترب منها طارق ومد يده بمنديلٍ لتجفف دموعها، واستطرد بصوت هادىء بَدَا عليه التأثر.

-وبعدين يا أستاذة وسام؟

-فضلت واقفة شوية مش مصدقة إلى أنا شايفاه، ومش عارفة أعمل إيه ولا أتصرف إزاى؟ حاولت أصوّت أو أنّده على حد، لكن ماقدرتش! صوتي اتحبس، رجلي اتصلبت مكانها، حسيت للحظة إني اتشليت. بعد حوالى خمس دقايق قدرت أتحرك، قربت منها أجس نبضها أو أهزّها يمكن تقوم، يمكن يكون لسة

فيها الروح، لكن مكنش فيه نبض، جسمها كان بارد زي الثلج، والدم مغرقها في كل مكان، جريت على التليفون واتصلت بالبوليس وبعدين البوليس جه وحضرتك عارف الباقى.

-أستاذة وسام مش غريبة انك من ستة ونص لحد ما اكتشفتى الجثة بالصدفة الساعة تسعة وشوية مفكرتيش تكلمي أختك أو تعرفي هي فين أو بتعمل إيه؟ زي أي اتنين اخوات عاديين.

-لأ مش غريبة!! لأن احنا كُنَّا اخوات بالإسم بس لكن مكنش فيه حاجة بتجمعنا!

-إزاي يعنى؟ مش فاهم!!؟؟

تنهَّدت وسام في ألمٍ مستعيدةً ذكرياتٍ أرادت نسيانها، ذكرياتٍ مؤلمةٍ قاسيةٍ عاشتها هي ووالدتها سنين طويلة، وشكلت جزءً كبيرًا من وِجدانها وشخصيتها.

- والدي الله يرحمه اتجوز والدتي عن قصة حب كبيرة قوي؛ كان كل اللي يعرفهم بيحكي عنها، أتجوزوا وفضلوا عايشين مع بعض سعداء مبسوطين حوالي سبع سنين؛ كنت عايشة فيهم أجمل طفولة بين أم قمة في الرقة والحنان وأب..... طيب، حنين عليا وعلى والدتي، لحد ما والدتى اكتشفت خيانة والدي لها وزواجه من والدة منة أختي من فترة بدون علمها؛ كانت زميلته في الشغل أتعرف عليها أول ما راحت تشتغل هناك، وبطريقة غريبة وغير مفهومة لحد دلوقتي، لفّت عليه ووقعته في شباكها؛ وبعد أقل من ست شهور من تعارفهم كان متجوزها، والدتي طبعًا لما عرفت اتصدمت وصممت على الطلاق؛ وبالفعل

اتطلقوا وخدتني أعيش معاها؛ بعد فترة جالها فرصة عمل في الإمارات سافرت وخدتني معها وفضلت معها لحد ما توفت، في الوقت ده كان والدي خلّف منة من مراته الجديدة، لما والدتي اتوفت رجعت مصر ورحت عشت مع والدي

-وده من امتى بالظبط؟

-ده من حوالى خمس سنين، أنا كان عندى ٢٧ سنة ومنة كان عندها تقريبا ٢٢ سنة.

-انتم الفرق بينكم وبين بعض ٥ سنين؟

-أه..... تقريبا ٥ سنين.

-طيب محاولتيش تقربي منها أو تصاحبيها؟

-حاولت كتير، بس هي رفضت وأنا محبتش أفرض نفسي عليها؛ لأن شخصياتنا مختلفة عن بعض وبالذات كمان أني لاقيت والدي الله يرحمه مدلعها قوي؛ ولما حاولت أتدخل هزقني واتخانق معايا عشانها، من ساعتها خدت القرار إني مليش دعوة بيها.

-كان مِدَلعها ازاى؟

-يعني تخرج وقت ما تحب، وترجع وقت ما تحب، تكلم أي حد هي عاوزه، تسافر مع أصدقاءها لوحدهم، عندها عربيَّة ملكها، فلوس زي ما هي عاوزه؛ يعني حاجات من دي.

-وانتى؟

-أنا إيه؟

-كان جايبلك عربية وبيدلعك زيها؟

التفتت وسام ونظرت في عينيه بثباتٍ كأنما قرأت ما يحاول أن يتهمَها به!!

-سيادة المقدم لو حضرتك بتتهمني إني قتلت أختى فالإجابة طبعًا لأ!

-أنا مش بتهمك يا أستاذة وسام؛ أنا بحاول أعرف منك إيه الى حصل وأدى إلى قتل أختك بالشكل البشِع ده؟

أومأت وسام برأسِها في نفاذ صبرٍ، واستطردت بصوت مشوبٍ بالضجر والضيق:

-لأ مكنش مدلعني ولا كان بيعاملني زي ما بيعاملها.

-ليه؟ ليه مكنش مهتم بيكي؟

-معرفش والله حضرتك ممكن تبقى تسأله.

صوَّب طارق نظرات عينيه في عينيها، محاولاً قراءة ما بداخلها، وبَدَت على وجهه أمارات الضَّجَر من سخريتها.

-أستاذة وسام! أنا بأدي شغلي وحضرتك من مصلحتك تساعديني، لازم تعرفي أن الجيران كلهم أجمعوا أنهم لا شافوا حاجة غريبة ولا شافوا حد داخل أو خارج من فيلتكم، والمعاينة الجنائية أثبتت أن مفيش أثار أقتحام أو سرقة، غير إن اللي اكتشف الجثة هو أنتي، ومفيش أي مشتبه فيه لحد دلوقتي غيرك،

يعنى..... يعنى حضرتك مش بس الشاهدة الرئيسية، لأ كمان أنتى المتهمة الرئيسية قدامنا لحد ما يجد جديد، فيُستحسن تجاوبي على كل أسئلتي بصراحة ووضوح..

انتظر المقدم طارق بضع ثوانى ليرى ردة فعل وسام على ما قاله؛ بيْد أنها التزمت الصمت في استسلام وخضوع، أكمل طارق استجوابه في هدوءٍ مراقبًا انفعالاتها وحركات جسدها.

منذ البداية وهو يشعر بأن الجريمة وراءها شيءٌ غامضٌ، فليست جريمة قتلٍ عادية، إنها جريمة متقنة ومُخطط لها منذ وقت طويل، فالقاتل بالرغم من بشاعة الجريمة والأسلوب العنيف الذى تمت به لم يترك وراءه أثرًا واحدًا؛ لا بصمة يدٍ، ولا شعرةً، ولا أي شيء يقود إليه، وهذا كان جليا بشكل كبير عندما ذهب لتفقد مسرح الجريمة، ووجد كل الأثاث فى مكانه الطبيعى ولا يوجد أثار أقدام أو بعثرة فى محتويات المنزل، أو اختفاء لأموال أو مجوهرات المجنى عليها، هنا تأكدت شكوكه بأن هذه الجريمة ستكون جريمة صعبة وشديدة التعقيد، فالوحيدة التي تقبع في دائرة الاشتباه هي الأخت غير الشقيقة للمجني عليها، وبالرغم من اقتناع المقدم طارق التام أنها ليست الجانية؛ إلا أنه لا يستطيع التغاضي عن حقيقة أنها الحلقة الوحيدة التى سيتكشف من ورائها كل شيء.

-طيب يا أستاذة وسام... يا ترى في حد بيتردّد عليكم، قريب أو غريب؟

-لأ مفيش غير ناهد الخدامة؛ ودي بتيجي الصبح وبتروّح على الساعة تسعة بعد ما تكون روّقت البيت ونضّفته وطبخت وكدة يعني، وجوزها حسين الجنايني وده بييجي مرتين بس في الأسبوع عشان يهتم بجنينة الفيلا.

حاول طارق التفكير مليًّا في المعلومات التى ذكرتها وسام توًّا، لم يعلم لماذا انتابه شعورٌ بأن الخادمة والجنايني ربما يكونا طرف خيطٍ يساعده في فك شفرة هذه القضية الغريبة، اقترب طارق بوجهه من وسام في اهتمامٍ بالغٍ وهو يواصل استجوابه لها.

-أيوة! بس ازاى أنا مقابلتش حد فيهم خالص الفترة الى فاتت دي بالرغم من إن الجريمة بقالها كام يوم دلوقتي. يعني هما أكيد عرفوا الخبر، ليه مظهروش لحد دلوقتي؟

-عشان هما قبل الجريمة بيومين استأذنوا أختي منة في أجازة عشر أيام عشان بنتهم هتولد في البلد، وكانت تمبانة قوى ومنّة وافقت لهم عشان هي كدة كدة مش بتحتاج لهم بشكل يومي، هي طول النهار برة بتاكل من برة ومبترجعش غير الساعة ٢ الصبح وفى الأجازات ممكن تبات بالليلة والليلتين برة، فمش بتحتاج لهم كتير يعني.

هز طارق رأسه في تفهم؛ وهو يشعر بفوران سيلٍ من الأسئلة داخل رأسه:

لماذا تأخذ الخادمة الإذن من منة بالرغم من أن منة هي الأخت الصغرى لـ وسام؟ أليس من المنطقى والطبيعى أن تستأذن الخادمة وسام الأخت الكبرى والمسؤولة عن المنزل بعد وفاة والدهما؟ لماذا تتحدث وسام كأن منة هي سيدة

المنزل؟

الكثير من علامات الاستفهام تراءت أمام طارق كأنها أبوابٌ تنتظر بشغف من يقتحمها.

-معلش يا أستاذة وسام! بس مش الطبيعى أن الخدامة تاخد إذنك انتي يعني باعتبار إنك الأخت الكبيرة !!

أخفضت وسام رأسها قليلاً في محاولة يائسةٍ منها للهروب من عين المقدم طارق النافذتين إلى روّحها، كيف وبماذا تجبّه؟ هل تقول له أنها كانت مجرد ضيفٍ في بيت والدها؟ هل تقول له أن زوجة أبيها الراحلة وابنتها منة حاولا طردها كثيرًا من منزل والدها وسط صمت والدها المريب الذي لم يدافع عنها قط؟ ماذا تقول وكيف تروى ما بداخلها من آلامٍ وأوجاعٍ..

تنهدت وسام وبصوت هامس لا يكاد يُسمع:

-لأ منة هي اللي كانت مسئولة عن البيت وهي اللي كانت بتدفع مرتبات ناهد وجوزها حسين.

-أمممم تمام، طيب متعرفيش عنوان ناهد وحسين دول يعني من أنهي بلد، أرقام تليفوناتهم أي حاجة؟

-آه أعرف أنهم من قرية صغيرة على أطراف المنصورة بس معرفش اسمها، وأنا كنت حافظة رقم ناهد يعنى عشان لو احتجت منها حاجة.

مدَّ طارق يده بورقةٍ وقلمٍ لوسام لتدوّن رقم ناهد؛ وبخطٍّ مهزوزٍ ويدٍ مرتعشةٍ فعلت.

-طيب يا أستاذة وسام تفتكري المجني عليها كان ليها أعداء أو حد عاوز يأذيها؟

تنهدت وسام في إرهاقٍ وألمٍ؛ ثم استطردت في خفوت:

-لأ معتقدش.

-متعتقديش ولا متعرفيش؟

-لأ معرفش بس مين يعني اللي هيكون عاوز يأذيها؟

-أى حد!!؟؟

هزَّت وسام رأسها بالنفي، فهي لا تعرف شيئًا عن أختها...

-معرفش!

جَالَ طارق ببصره في الغرفة، ثم عاد مُجددًا لسؤال وسام التى بدأت تشعر بالدُّوار من كثرة الأسئلة والضغط عليها:

-طيب أستاذة وسام! تفسّري بإيه الأسلوب العنيف الى تمّت بيه الجريمة؟

-معرفش..... بس أكيد يعني دي حاجة مش طبيعية!

-تعتقدي انها جريمة انتقام؟؟

-معرفش الله أعلم! بس أرجع وأقول لحضرتك مين اللي ممكن يكون عاوز ينتقم

منها أو يأذيها؟

-أى حد بيكرهها أو عاوز يتخلص منها؟

-!!!!!!!!!!!!

-طيب تعرفي مين صُحاب المجني عليها، معارفها، زمايلها في الشغل أو الجامعة؟

صمتت وسام لبعض الوقت تحاول التذكر ثم استطردت في هدوء:

-منة كان ليها صحاب كتير، شلة كانت دايمًا بتخرج معاهم، وتسافر وتروح وتيجي معاهم، بس هي كان ليها صديقة واحدة زي ضلها اسمها أماني.

-أماني إيه؟

-معرفش.

-أمممم ومين كمان؟

-وخطيبها تامر منصور! بس سابوا بعض من حوالي سنتين كدة تقريبًا.

-ليه؟

-لأ معرفش!

تنهد طارق في محاولة جاهدة للسيطرة على أعصابه التى بدأت تثور من إجابات وسام غير المنطقية بالنسبة له والتي لم تُرض فضوله، فكيف تكون شقيقتها ولا تعرف عنها شيئًا؟ ألم يعيشَا معًا لمدة خمس سنوات وأكثر في بيتٍ واحدٍ؟ ألا تعرف أي شيء عن شقيقتها؟ كيف هذا؟!!

-أستاذة وسام أزاى تبقى أختك ومتعرفيش عنها حاجة؟ أي حاجة؟

-هى دي الحقيقة وأنا هاكدب على حضرتك ليه بس؟

-أنا مش بقول بتكدبي بس مش منطقي أن أختين ميبقاش ليهم علاقة ببعض بالشكل ده وهما عايشين في بيت واحد!!

-عايشين في بيت واحد آآآآآه؛ بس مفيش حاجة بتجمّعنا ببعض حتى بابا الإنسان الوحيد المشترك بيننا مات.

تنهّد طارق في صمت؛ فقد علِم أنه لن يستطيع الحصول على معلومات أكثر من ذلك فى الوقت الحالى.

أمر طارق بإغلاق المحضر، وطلب من وسام التوقيع عليه؛ وَهَمَّ بالرحيل؛

عندما التفت إليها بغتةً كأنما تذكر شيئًا، نظر لها نظرةً ثاقبةً في محاولةٍ منه لاختراق ذاتها؛ مقتربا منها ناظرا في وجهها مباشرة:

-أستاذة وسام! سؤال أخير بعد إذنك!

-اتفضل

-يا ترى كنتي بتحبي أختك منة؟

ضيّقت وسام عينيها ونظرت لطارق نظرةً بلهاء لا معنى لها وكأنما لم تفهم سؤاله:

-أكيد ده مش محتاج سؤال.

-بتحبيها ليه؟ بالرغم من بُعدكم عن بعض.

أخفضت وسام رأسها بضْع ثوانٍ، ثم رفعت رأسها ونظرت لطارق نظراتٍ قويةٍ حاسمةٍ شعر معها طارق بالصدق؛ فقد كان معروفًا عنه أنه يستطيع قراءة الكذب في عيون من أمامه.

-مش معنى اننا ماكُناش قريّبين أنى أكره أختي .....أختي الوحيدة، مش هاكدب عليك وأقولك أني كنت بموت فيها، وهي بالنسبة لي الهوا والمياه، لأ، وأوقات كتيرة كنت بتضايق منها، بس كُرْه بالمعنى الحرفي لأ، وبعدين أنا معنديش للأسف عِيلة غيرها؛ أمي ماتت وأبويا كمان مات، وهى كانت كل عيلتي.

أومأ طارق رأسه في هدوء وأخرج من جيب سترته كارته الشخصى أعطاها لوسام وأكد عليها أنها يجب أن تتصل به فورًا في حال تذكرت أي معلومة أو تفصيلة حتى وإن كانت تافهة بالنسبة لها، فمن المؤكد أنها ستفيده في البحث عن الجاني، كما أكد عليها عدم السفر لأى مكان حتى الانتهاء تمامًا من التحقيق؛ وهو ما استوعبته وسام تمامًا وطمأنته أنها لن تبْرح مكانها ولن ترحل دون علمه.

كيف ترحلُ ويديْها لا زالت مُخَضَّبة بدماء شقيقتها!!

كيف ترحل وهي قاب قوسين أو أدنى من حكم الإعدام!!

فكل تلك الأمور كانت كفيلة بأن تُزلزل كيانَ وسام وتمنعها من الحركة وليس من السفر فقط.

الفصل الثانى

ترك طارق وسام بعد أن أنهى معها التحقيق مؤقتًا وبداخله إحساس مُلح أن حَلَّ لغز هذه الجريمة في يد وسام.....الأخت غير الشقيقة للمجني عليها.

استقلّ سيارته في طريقه إلى مصلحة الطب الشرعي لملاقاة حازم إبراهيم المسئول عن تشريح جثة المجني عليها منة توفيق.

فى الطريق حاول طارق استرجاع المعلومات التى توصلت إليها إدارة البحث الجنائي في خلال الأيام الفائتة منذ اكتشاف الجريمة وحتى الآن في محاولة لإيجاد علاقة بينها وبين ما قالته شقيقة المجنى عليها، فكان ما توصل إليه هو أن:

القتيلة أو المجنى عليها فتاة في العقد الثانى من العمر، تعمل في قسم التسويق بشركة دعاية وإعلان، تدرس في الجامعة الألمانية في مصر، في الفرقة الرابعة، ثريّة لا تشتكى من أي أزماتٍ ماديةٍ، مشهورة ولها علاقات كثيرة بحكم عملها ومحيطها الاجتماعي، جميلة، لها العديد من الأصدقاء وإن كان أقربهم إليها

هي أماني عبد الرحيم (وهو ما أقرته شقيقتها أيضًا)، كانت مخطوبة بالفعل لتامر منصور؛ وهو شاب كانت على علاقة به منذ سنوات عديدة، محاسب في بنك أجنبي وصفحته الجنائية نظيفة ولا يوجد بها ما يُشينُها، كما أن علاقته بالمجني عليها انقطعت من سنتين دون سببٍ معلوم، لم يتحدثوا ولم يروّا بعضهم بعضًا منذ ذلك الحِين.

إذا من القاتل؟

الجريمة ليست انتحار، وليست جريمةً عادية بغرض السرقة؛ بما أن البحث الجنائي لم يعثر على أي آثار اقتحام من الخارج، والشهود جميعهم أجمعوا على عدم سماعهم صوت صراخٍ أو استغاثة، ولم يروّا أحدًا يدخل أو يخرج من الفيلا سوى الشقيقتين....

إذًا من ذاك القاتل الخفي الذي أقدم على ارتكاب جريمته بصمتٍ ودون بصمةٍ واحدة تقود إليه؟

أمسك طارق رأسه بشدة وهو يشعر برغبةٍ عنيدة بداخله في ضرب رأسه في شيء صلب؛ لعل الحقيقة تسّطع مرة واحدة بداخلها، إنه سيُجَن من كثرة التفكير، فهو لا يحب هذا النوع من القضايا المُحيرة والتى دوما تنتهي بمشكلةٍ لا حل لها.

-مالك يا طارق باشا؟ عصبي ليه؟

التفت طارق لمحدثه النقيب وائل باستغراب وقد كان نسي تماما تواجده بجواره

بالسيارة..

-مفيش!! بفكر في القضية الغريبة الى احنا فيها ديه...

-أنا شايف انها مش غريبة ولا حاجة...

-ازاى؟

-أنا شايف ان أخت القتيلة هي القاتلة!!

نظر له طارق وأمارات عدم الفهم والاستغراب تكسو وجهه:

-ليه بتقول كدة؟

-عشان ببساطة هي الوحيدة الى عندها دافع لقتلها...

-وهو إيه دافعها؟

-انها تنتقم !!

نظر له طارق نظرة مُطوَّلة وبداخله أفكار كثيرة واحتمالات أكثر تندفع بسرعة جنونية داخل رأسه، تتصارع وتتقاتل محاولة إثبات نفسها على الساحة.

الانتقام!!

احتمال قوي..... بل هو الاحتمال الأقرب للواقع، فالجريمة تمت بطريقة شديدة العنف والقسوة وهو دليل على أن القاتل كان بينه وبين القتيلة عداوة كبيرة جعلته يتفنن في قتلها، لكن السؤال هو لماذا تنتقم؟

-بس ليه تنتقم منها؟

-عشان باباها سابّها هي ووالدتها واتجوز والدة منة!

-آيوة!! بس ده مش سبب يخليها تقتل أختها!! ده موضوع قديم وكل أطرافه ماتت..

-ما هي تلاقيها معقدة متنساش بردو يا فندم ان والدها كان بيفرق في المعاملة بينها وبين أختها؛ وكان مدلع أختها على حسابها؛ حتى لما وسام راحت عاشت معه مهتمش بيها ولما عارضت دلعه لأختها هي بنفسها قالت إنه هزّقها عشانها يعني كل دي أسباب ممكن تدفعها لقتل أختها.

صمت طارق وكأن على رأسه الطير، فتظريًا حديث وائل يبدو منطقيًا، لكن عمليًا.....صعب تحقيقه، خاصة أن القاتل يجب أن يكون قوي البنية حتى يستطيع القيام بهذه الجريمة العنيفة القاسية، ووسام بنيتها ضعيفة لا تستطيع القيام بجريمة عنيفة مثل هذه، إلا إذا قامت بتأجير أحد البلطجية ليقوم بهذه الجريمة بدلاً منها!!!

"لا لا أعتقد أنها الفاعلة"

أنتاب طارق شعورٌ قويٌّ أن وسام ليست هي القاتلة! بيْد أن القانون لا يعرف المشاعر أو الافتراضات؛ فيتعين عليه الحصول على أدلة ووقائع دامغة تقطع كل أوصال الشك؛ لذلك أصدر أوامره لوائل بتعقب وسام ومراقبتها ليل نهار، فهو يريد محاصَرتها بشكل كاف ليعرف عنها كل شيء، إذا كانت هي القاتلة

ستُخطيء حتمًا وترتكب غلطةً ما تكشفها؛ وإن كانت بريئة فالمراقبة ستكشف ذلك حتمًا، كما أكد عليه أنه يريد تقريرًا مُفصلاً عن حياتها منذ ولادتها وحتى الآن فكل تفصيلة عن حياتها مهمة جدًّا مهما كانت تافهة ولا معنى لها.

وفتها لم يكن طارق يعلم أنه يركُض نحو المجهول بخُطى واثقة.

وصل طارق إلى مصلحة الطب الشرعي، وشرع ينْهش الدرجات ومن ورائه وائل حتى وصلوا إلى غرفة التشريح التى كان يمقت رؤيتها بشدة، فدائما ينتابه هاجسٌ مخيفٌ أن نهايته ستكون يومًا ما على طاولة بداخلها.

دلف طارق إلى الداخل في هدوء ليجد الطبيب حازم – ذاك الشاب قصيرُ القامة، قليلُ الجسد، نحيفٌ كأوراق السجائر، دقيقُ الملامح ومن عيونه يشع الدهاء- مُنكبًّا على جثةٍ أمامه يقطع فيها ويُشَرِّح كما لو كان يرسم لوحةً فنيةً مُتقنة التفاصيل، لطالما أراد طارق سؤال حازم كيف يستطيع النوم ليلاً بعد انتهاء عمله؟ هل تزوره الجثث في منامه أم تتركه يهنأ بلَيْله؟

-ازيك يا حازم؟ قولى إيه الأخبار؟

-ازيك يا طارق باشا، كله تمام جهزت لحضرتك تقرير معاينة المنزل وتقرير التشريح.

ناوَلَ حازم التقارير لطارق ثم أكملَ حديثه في هدوء بمصطلحاته الطبية التى لا تنتهي، متحدثا بطلاسم لا يفقه طارق بها شيئًا....

- حازم! عربي كلمني عربي عشان أفهم الله يكرمك!

تنهَّد حازم وعدَّل من وضع منظاره الطبيّ واستطرد بهدوئه المستفز....

-المجني عليها، أنثى في العقد الثاني من العمر؛ تحديدًا سبعة وعشرون عامًا، نتيجة الوفاة ثقب في العنق في الجانب الأيمن أدى إلى انقطاع وصول الدم للمخ، وبالتالي انقطعت تغذية المخ بالأوكسجين، وده أدى لاختناق الضحية، المجني عليها ظلت أكثر من ١٥ دقيقة تعاني تشنجات جسدية وأثار اختناق شديد، طبقًا لتشريح الجثة... الوفاة حدثت بين السادسة والتاسعة مساءً.

-يا ساتر يارب ده تعمد تعذيبها؟

-بالظبط كدة يا فندم خاصة ان الدماء الى وجدت في غرفة المجني عليها هي .....دمها هى

-يعنى إيه؟ يعنى هو دبحها وبدمها مسح الحيطان والأرضيات؟

-للأسف أيوة!

نظر طارق لحازم الذى اقترب من منضدة أمامهم، تحمل جسدًا مغطى بالكامل بغطاء أبيض، أزاح حازم الغطاء كاشفًا عن وجه صاحبة الجسد؛ فتاة جميلة بيضاء البشرة، شعرها أشقر كثيف، السواد يغلف عينيها بالكامل وآثار الموت جليّة عليها.

اقترب منها طارق بعد أن ارتدى القفاز الطبي الذي أعطاه إياه حازم وبدأ في تحسس الجرح الذى تحدث عنه الطبيب منذ دقائق قليلة، كانت منة شاحبة لدرجة لم يرى طارق مثلها من قبل، الزُّرقة تحيط جسدها بالكامل نتيجة خلوّ

جسدها من الدماء، كأنما تم امتصاصها بالكامل، رفع طارق نظره لحازم واستطرد وهو يحاول التغلب على الغثيان الذى أصاب معدته:

-أنا أول مرة في حياتي أشوف جثة بالشكل ده، ده زي ما يكون فرغها من الدم.

-ده حقيقي يا فندم

قالها حازم بهدوء لا يتناسب أبدًا مع الوضع الحالي، جعل طارق ينظر له باستغراب ويتساءل بداخله عن كم البرود الذى يتمتع به هذا الحازم ألا يتأثر بشيءٍ هذا الكائن؟

-إزاى يعني؟

تحرك حازم على استحياء؛ فقد شعر بالنفور والأشمئزاز يتصارعان في صدر طارق؛ ليس من الجثة ولكن منه هو شخصيًّا حسبما ظهر في نظرات طارق له.

-بالطعن، القاتل طعن المجنى عليها أكثر من خمسة وعشرين طعنة في أماكن متفرقة في الجسد، كمان قطع شرايين اليد اليُمنى واليُسرى والقدمين

الصدمة جعلت طارق لا يعرف بماذا يجيب، أيُعقل ما يقوله هذا الطبيب؟ أيوجد إنسانٌ يستطيعُ تعذيب ضحيّته بهذا الشكل المُريع؟ ألا يكفيه أنه ثَقَبَ عُنُقها ليُعذّبها؛ بل امتد جبروته وقام أيضًا بتقطيع شرايين جسدها والتلذُّذ بنثر دماءها في كل أرجاء الغرفة.

ما هذا الجنون؟ ولماذا هذا الجبروت والعنف؟ لماذا؟

-طيب فيه أثار اغتصاب أو أعتداء جنسى من أى نوع؟

-لأ يا طارق باشا!

-أمممممم طيب ومُعاينة البيت وصلت لإيه؟

-ولا حاجة!

-يعني إيه ولا حاجة؟!! مفيش بصمة واحدة؟ مفيش شَعرة؟ مفيش أثار رجلين؟ مفيش حاجة خالص؟

-لأ مفيش غير بصمات القتيلة وأختها بس! حتى غرفة المجني عليها مفيش فيها غير بصماتها هي بس! كمان مفيش أثار كسر أو اقتحام ولا في حاجة مسروقة! كله سليم يعنى القاتل شخص المجني عليها المفروض تعرفه وفتحت له عادى.

أشاح طارق بنظره بعيدًا يفكر في هذه القضية الغريبة التى هبطت فوق رأسه بين ليلة وضُحاها، كان يأمل أن يجد عند الطب الشرعي أجوبةً لأسئلة كثيرة رَاوَدته منذ أن أُسندت إليه هذه الجريمة، لكن كما توقع سلفًا، لا بصمات ولا عينات ولا أي شيء، جريمة تكاد تكون كاملة، التفت طارق لحازم يسأله:

-طيب الجثة فيها حاجة تاني ولا خلاص كدة؟

-لأ لسة يا طارق باشا، المجني عليها عندها جرح سطحي في راسها قطره حوالي ٣ سنتيمتر زي ما حضرتك شايف ناتج عن خبطة أو واقعة؛ واضح ان القاتل دفعها بقوة فوقعت ودماغها اتفتحت؛ كمان فيه أثار مقاومة في جسمها، واضح انها قاومت القاتل بشراسة؛ وده باين من الرُّضوض والسحَبَات الزرقاء اللي منتشرة في جسمها.

-امممممممم تمام!

-بس هو فيه حاجة كمان.

-إيه تانى ؟!!

قالها طارق بنفاذ صبر

-المجني عليها ماكنتش عذراء.

-إزاى؟ التحريات المبدئية بتأكد أنها ماكنتش متجوزة.

-معرفش بس هي مش عذراء!!

-طيب!! تحليل الدم وصل؟

-لسة!

-أوك لما يوصلك كلمني.

ترك طارق مصلحة الطب الشرعي قاصدًا مكتبه في مديرية أمن القاهرة؛ بعدما أرسل وائل للمشفى ليبدأ في تنفيذ ما أمره به سلفًا؛ وهو مراقبة وسام ليل نهار للوقوف على كافة التفاصيل الخاصة بحياتها وعلاقاتها المختلفة.

خلال الطريق لمكتبه حاول طارق سبر أغوار القضية في عقله في محاولة مجهدة

لحل ألغازها الكثيرة؛ فتاةٌ ثريةٌ من عائلة مشهورة، تُقتل بطريقة بشعة ودونما أي أثر على فاعلها، لماذا؟ ما الذي اقترفته تلك الفتاة لتُقتل بهذه الطريقة البشعة؟

زَفَرَ طارق بقوة كما لو كانت أنفاسه محتبسةً داخل رئتيه وهو يحاول جاهدًا التخلص منها، فكر مليًّا في أنه يحتاج مساعدةً من شخصٍ ما في هذه القضية، فهو لن يستطيع فك شفراتها وحده، إنه في حاجة لضابطٍ من نوعٍ خاص، ضابطٍ تخصص في هذا النوع من الجرائم الغريبة التي تستعصي على الكثيرين،

همس لنفسه قائلا: "مفيش غيره، هو إيهاب، هو الوحيد اللي يقدر يساعدني.....هو إيهاب الدمنهوري".

الفصل الثالث

خلف نافذة غرفتها في المستشفي، وقفت وسام تتابع قطرات الماء المنهمرة، ورأسها تعج بالأفكار المتصارعة التي تؤكد عجزها عن فهم ما آلت إليه الأمور خاصة بعد أن أُغشي عليها في منزل والدها عقب اكتشاف الجريمة.

هل تبكي؟ لماذا لا تستطيع البكاء أو الأنهيار؟ أليست القتيلة شقيقتها ..... وشقيقتها الوحيدة!!؟

للحظة خانتها دموعها وهبطت على وجهها تكشفها أمام الجميع، لكنها لم تكن دموع حزن أو ألم بقدر ما كانت دموع صدمة ومفاجأة لم تكن يومًا تتوقعها، لن تكذب وتقول أنها كانت تحب منة أو تشعر تجاهها بمشاعر أُخُوَّة؛ لكن بالرغم من كل شيء لم تكن تكرهها، ولم تتمنى أبدا أن تكون هذه هي نهايتها مهما كانت حدة اختلافاتهم وقوتها.

أكثر ما يصدمها أنها لم تستطع يومًا الحكم بشكل مباشر على مشاعرها تجاه شقيقتها منة، فقد كانت مشاعرها تتأرجح بين الشفقة في أوقات كثيرة، وبين

البُغض والاشمئزاز في أحيانٍ أخرى، لكن تظل مشاعر الحنين هى سيدة الموقف في أغلب الأوقات، فهى الشقيقة الوحيدة التى رُزقت بها في هذه الدنيا برغم كل مساوئها، تظل شقيقتها الوحيدة التى لم تختر يومًا وجودها في حياتها.

"من مِنا يختار أهله؟ من منا يستطيع انتقاء الأفضل ليكون بين أسرته"؟ لا أحد!.

نحن نُولَد في هذه الدنيا نجد أباءَنا وأمهاتنا وأشقاءنا حولنا بعيوبهم قبل مميزاتهم، لا نستطيع الفصل بينها ولا نستطيع نبْذ عيبٍ ما أو استئصاله من داخلهم؛ فقط نتقبلهم كما هم.

كان هذا هو الحال بالنسبة لوسام التى تقبلت وجود شقيقتها منة في حياتها باستسلام، أملاً في اليوم الذي تُصبح شقيقتها انسانة طبيعية وأختًا حقيقية في حياتها، خاصة أن وسام كانت وحيدة لدرجة الموت، لا أم ولا أصدقاء أو صديقات ولا عائلة، فقط هي والكُتُب؛ أولئك الوحيدون الذين تقبلوا وسام في حياتهم واستقبلوها بترحابٍ شديدٍ ولم ينبذوها يومًا، فكانوا هم كلَّ حياتها، تنتهى من عملها في الخامسة والنصف وتعود للمنزل لتبدأ رحلتها مع كتاب أو رواية أو ديوان شعر، تظل تقرأه حتى يغلُبها النوم فتحلُم بالحب والبيت والزوج الذى لم تحظَ به يومًا، أو تحلم بدفء الأسرة بين أبٍ وأمٍّ أسوياء وأخوة يغمُرونها بحبهم وهو ما لم تعشْه يومًا في حياتها، فجاءت حياتها سلسلة طويلة من الأحلام التى لم ولن تتحقق أبدًا.

تنهدت وسام في ضيق وزَفَرَت في قوة، فلا زالت الآلام مُسيطرةً على عقلها

وقلبها ووجدانها.

تذكرت يوم كانت والدتها تجلس وحدها في غرفتها، والأمطار تنهمر بغزارة في الخارج، طرقت الباب فلم تسمعْها، فتحت فتحة صغيرة تستطلع منها هل والدتها نائمة أم لا، وجدتها تجلس أمام نافذة غرفتها تنظر للسماء بتأمل حزين، أمامها طاولة صغيرة مُسجى عليها صندوقًا خشبيًّا مطعمًا بالصَّدف؛ كان والدها قد أهداه لوالدتها وقت زواجهم تعبيرًا عن حُبه وإخلاصه لها.....وقت أن كان زوجًا مُحِبًّا ووفيًّا. كان الصندوق يحتوي على بعض الأوراق والصور التي لم تتأكد وسام من فحواهم من بعيد ولو أنها شعرت بداخلها أنهم من الذكريات، اقتربت من والدتها بخُطى حثيثة، فهَالَهَا ما رأت.

رأت الدموع تملؤ عينى والدتها وتغرق وجهها الجميل، تمسك في يدها صورة لعائلة واحدة سعيدة مُحبة مُتفائلة، تراقب القمر عبر النافذة في شرودٍ، دبّت وسام على ذراع والدتها في رقة تواسيها فانتفضت الأخيرة، ورمَقتها بنظرةٍ لن تستطِع وسام نسيانها مهما مر بها العمر، نظرة ألمٍ وحزنٍ و.....انكسار.

انكسار زوجةٍ أحبَّت زوجها وابنتها وعاشت لهم ومن أجلهم؛ انكسار امرأة عشقت رجُلا حتى النخاع، لم تيأسْ منه يومًا، ولم تتخلَّ عنه أو تفضل آخر عليه، لم تنسَه ولم تستطع مسامحته، لماذا فعل بها ما فعله؟ لماذا خَانَها وفضَّل عليها أخرى؟ لماذا نسى ما بينهم ولم يقدر عشرة الأيام والحب الذى جمعهما يومًا ما؟ ماذا فعلت والدتها ليتركها ويبحث عن بديل لها؟

أسئلة كثيرة كانت ولازالت سبب حيرة وسام وأزمتها التى لم تستطع يومًا أن

تتخطاها، دومًا كانت تعترف بينها وبين نفسها أنها لم تسامح والدها يومًا على ما فعله بها وبوالدتها التى لم تر في عينيها طوال حياتها وحتى وفاتها سوى نظرات الألم والحزن والانكسار، تلك المرأة التى أعطته كل شيء بداخلها ولم تبخل يومًا عليه بحُبها وتفانيها وكان جزاؤها الهجر والحرمان.

يا ليت الرجال يعلمون ما تعانيه النساء جراء ظلمهم وخيانتهم لهُن، لربما رقت قلوبهم واتقوا الله في نساءٍ بادلوهن حبًّا ومنحوهن قلوبهن على أطباق من ماس، فكانت نهايتهن البيع برخص التراب.

جففت وسام دموعها التى سقطت بالرغم منها، وتأهَّبت للرحيل فقد صرح لها الطبيب أنها تستطيع العودة إلى منزلها.

"منزلى؟"

وقفت وسام حائرةً لا تعرف أين تذهب؟ هل تعود لمنزل والدها؟ أم تلجأ للإقامة في فندقٍ مؤقتًا؟

توجهت وسام نحو خزانة الملابس الصغيرة أمامها، أخرجت ملابسها وارتدتهم في سرعة ثم فتشت جيوبها وهى تدعو الله أن تجد هاتفها المحمول فيهم، كعادتها دائمًا فهى لا تذهب لأى مكان دون هاتفها حتى ولو كانت تتنقل داخل أرجاء المنزل، بالرغم من أن أحدًا لا يتصل بها لكنها تحمله معها على أي حال، أخرجت وسام الكارت الشخصي للمقدم طارق واتصلت به، أتاها صوته حازمًا قويًّا كما سمعته منذ قليل.

-السلام عليكم سيادة المقدم!

-أهلاً يا أستاذة وسام!

اندهشت وسام من أجابته عليها! كيف علم أنها هى المتصلة؟ هل ميَّزها من صوتها أم كان يعرف رقم هاتفها من البداية؛ إلا أن طارق لم يمهلها وقتًا كثيرا للتفكير أو الاستغراب واستطرد حديثَه في هدوءٍ...

-أنا رنيت على نفسي من موبايلك عشان أعرف الرقم.

-آآآه .....تمام مفيش مشكلة، أنا آسفة لو كنت أزعجتك بس الدكتور صرح لى على خروج وأنا بصراحة مش عارفة أعمل إيه؟ عاوزة أروَّح البيت أخد هدومي وحاجتي ومعرفش إذا كان ده مسموح ولا لأ؟

-هو البيت حاليًا متشمع بالشمع الاحمر لأنه مسرح جريمة؛ بس طبعًا من حقك تروحى تاخدي هدومك وحاجتك؛ على كل حال أنا هطلعلك تصريح من النيابة عشان تقدرى تروحى البيت وهاكلم النقيب وائل عشان يجيلك يوصلك لحد هناك ويوصلك بعد كدة لأى مكان تاني.

-أنا متشكرة جدًّا مش عارفة أقول لحضرتك إيه؟

-متقوليش حاجة ده واجبي!

أغلقت وسام الهاتف واكملت ترتيب مظهرها في انتظار وصول النقيب وائل.

*****

تراجع طارق بظهره للوراء يراقب دخان سيجارته فى شرود وهو يتلاشى في الهواء، إنها السيجارة رقم ثلاثون التى يدخنها منذ عودته من المشرحة، لقد قرأ التقارير الطبية والتشريحية للمجني عليها أكثر من مائة مرة، فالتحريات المبدئية لا تُظهر شيئًا غريبًا أو معلومة خطيرة من شأنها أن تجعل نهاية المجني عليها بائسةً بهذا الشكل.

فالجريمة بعد تقرير التشريح الخاص بالجثة هي جريمة انتقام من الدرجة الأولى، فالقاتل لم يقتحم الفيلا ولم يسرق شيئًا، وتعمد تعذيب ضحيته بل أيضًا تلذَّذ بقتلها والتمثيل بجثتها.

"الجريمة ديه مش ممكن تكون جريمة عشوائية؛ ديه جريمة متخطط لها ومن وقت طويل كمان"

تنهد طارق في بُطء وأمسك هاتفه طالبًا وائل الذى أجابه سريعًا كأنما كان ينتظر مكالمته.

-وائل هتطلع على النيابة تاخد تصريح منها عشان أستاذة وسام تروح تجيب حاجتها من البيت وبعدين تعدى عليها فى المستشفى تاخدها للفيلا هتاخد حاجتها وبعدين هتوصلها لأى مكان تختاره طبعًا مش محتاج أوصِّيك انها مش لازم تحس أنك بتراقبها، مفهوم!!

-مفهوم يا طارق باشا!!

-ومتنساش تجيبلي معلومات عن الخدامة وجوزها، عاوزهم بكرة قدامي،

مفهوم يا وائل؟؟!!

-حاضر يا باشا.

-سلام.

أغلق طارق هاتفه المحمول وقذفه بعيدًا، وجذب سماعة الهاتف الذى يقبع في صمت بجانبه، فهو قليلا ما يستخدمه، وطلب رقمًا داخليًا وأنتظر قليلاً...

-أيوة يا ابني إيهاب باشا جه؟؟؟

-لسة يا طارق باشا!!!

-طيب أول ما بيجي تقوله أني عاوزه ضروري واني مستنيه في مكتبي.

-أوامرك يا فندم!!!

وضع طارق سماعة الهاتف في مكانها وتنفس آخر نفسٍ في سيجارته قبل أن يسّحقها بعنفٍ في منفضة السجائر أمامه لتلحق بباقي ضحاياه.

وصلت وسام إلى فيلا والدها برفقة النقيب وائل في حوالي الرابعة مساءً، وقفت أمام الفيلا وشعرت بانقباض شديد داخل قلبها وخنقةً قوية تمنعها من التنفس بشكل طبيعي، اقترب منها النقيب وائل بعدما شعر بما يعتمل فى صدرها من خوف وألم...

-انتي كويسة يا أستاذة وسام؟

التفتت له وسام مبتسمة ابتسامة مضطربة واستطردت في خُفُوتٍ..

-مفيش حاجة أنا بخير، مش هتأخر!!

تركته وسام ودخلت الفيلا بخُطى مترددة حتى وصلت إلى باب الفيلا المُغلق بالشمع الأحمر، جذبت الشمع وألقته أرضًا، ثم أخرجت مفتاحها بسرعة وتوتر شديد فتحت به الباب ودخلت، كانت الفيلا من الداخل تغرق في سوادٍ كاتمٍ ورائحة الموت تُرفرف في الهواء بحريَّة غريبة جعلت وسام تنتفض وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

تقدمت داخل الفيلا التى كانت في حالة يُرثى لها، الأثاث مُبعثر في كل مكان، أثار أقدام رجال البحث الجنائي والشرطة تملأ المكان وبعض نقاط الدم المتحجرة على أرضية الفيلا التى أرجحت وسام أنها بالتأكيد تخص شقيقتها منة، أغلقت وسام عينيها وأخذت نفسًا عميقًا أخرجته ببُطء وصعدت للطابق الثانى حيث غُرف النوم، من يصدق أن الدنيا كلها انقلبت رأسًا على عقب في بضعة أيام فقط، من يُصدق أن شقيقتها منة تُقتل بوحشية غريبة وتُنثر دماؤها في كل أرجاء غرفتها بهذا الشكل البشع؟ لماذا؟

إنها تفكر منذ استرداد وعْيَهَا في القضية محاولة اكتشاف سر هذا الحادث؟..... لكن عقلها لا يستطيع الوصول لأى إجابة منطقية واحدة تريحها من عذابها وحيرتها الكبيرة.

قرأت وسام الفاتحة بداخلها وهى مارة أمام غرفة منة المغلقة، لم تستطع الوقوف أمامها كثيرًا، فكأنما شعرت بالدماء الموجودة بالداخل تصرخ وتئن في ألمٍ ووجعٍ.

دلفت وسام سريعًا إلى غرفتها؛ جذبت حقيبة السفر الخاصة بها من أسفل الفراش، لملمت بها ثيابها وأوراقها الشخصية مرّ هنا وهناك دون أن تعى ما تضعه فعليا داخل الحقيبة، أغلقتها سريعًا وهبطت تركض هاربة من المنزل دون أن تلتفت وراءها كأنما يطاردها شبح القتيلة الغاضب ليصب لعناته عليها، أغلقت بوابة الفيلا سريعا وقد أيقنت بداخلها أن هذا المنزل أصبح ملعونًا يملؤه الجنون إلى الأبد..... فجأة اصطدمت بشاب أمام بوابة الفيلا،

إنه أسامة حارس الأمن الذى يعمل في الشارع الخلفى للفيلا، سلم عليها بوُدٍّ وترحاب، وقام بتعزيتها في موت شقيقتها الوحيدة وهو يُبدى أسفه وحزنه الشديد على ما حدث، كان أسامة شابا صالحا تعامله وسام بوُدٍّ وأحترام عند مرورها أمام البناية التى يعمل بها، كان يلقى عليها السلام ويساعدها فى حمل حقائبها إذ رأها تحمل أشياء كثيرة وكان لا يقبل أبدا أن يتركها سوى عند باب منزلها.

أقبل عليها أسامة أسفا عما حدث لها وأوصاها أن تلتفت لنفسها جيدا، وهَمَّ بالرحيل حتى يلحق عمله عندما انتهزت وسام الفرصة وسألته إذا ما شاهد أو سمع أو ربما حدث شيء ما يوم الجريمة لفت انتباهه، فهى تعلم أنه يمر من أمام الفيلا بشكل يومي عند الذهاب أو العودة من عمله.

"والله يا أستاذة وسام أنا في اليوم ده كنت بشتغل شيفت صباحي ومعرفتش

اللي حصل غير تاني يوم، بس ممكن أبقى أسألّك محمود زميلي هو كان موجود بالليل يمكن يفيدك"

تنهدت وسام في صمت وأجابته وكأنما كانت تعلم أجابته مسبقًا

"ولا يهمك يا أسامة، أشوفك بعدين، سلام!"

"سلام يا أستاذة ربنا معاكي"

قالها أسامة وهو يشاهد صعودها بوجه شاحب وعيون خائفة مضطربة بجانب النقيب وائل في السيارة الذى أراد الأستفسار عن حالتها،

-فيه حاجة يا أستاذة وسام، أنتى كويسة؟

نظرت له وسام وهى لازالت تنتفض وترتعش متأثرة بخوفها الشديد داخل الفيلا وابتسمت ابتسامة حاولت بقدر الإمكان أن تكون ابتسامة هادئة.

-لأ مفيش ممكن نمشي.

-طبعًا تحت أمرك.. بس نروح فين؟

-ممكن تودينى فندق الأمل في المقطم، أنا عارفة الطريق.

-حاضر.

تحرك وائل بسيارته بعيدًا عن المنزل الذى شعرت وسام أنه يراقبها ويتخللها بعنف.

الفصل الرابع

وصل إيهاب الدمنهورى إلى مديرية أمن القاهرة في الخامسة والنصف مساءً بعد تحقيق طويل في قضية قتل زوجة خائنة، رجل قتل زوجته بعد أن ضبطها مع عشيقها في منزلهم، الغريب في هذه القضية أن الزوج المخدوع قتل زوجته ولم يقتل عشيقها!!! وهو ما أثار الريبة في عقل المقدم إيهاب وجعل أجهزة الإنذار لديه تدق بعنفٍ مُعلنة وجود شيء غير مفهوم وراء هذه الجريمة.

فالمقدم إيهاب الدمنهورى باختصار وبشهادة جميع من عرفوه ومن يحاولون اجتناب معرفته والبعد عنه تمامًا، "أرخم وأغتت" ضابط مباحث في تاريخ مديرية أمن القاهرة ولن نبالغ إن قلنا أنه أرخم ضابط بجمهورية مصر العربية.

عنيدٌ إلى أقصى درجة، هادىء بشكل مستفز، عاصف كالانفجار مع من يحاولون الكذب أو اللعب به، قاسي القلب لدرجة لا يتخيلها بشر حتى أن زملاءه أقسموا أنه بلا قلبٍ تقريبًا، شديد الذكاء، لا تستعصي عليه أي قضية مهما كانت صعوبتها أو درجة تعقيدها، يتم الاستعانة به خصيصا في القضايا الصعبة والمعقدة، فهو لا يبخل أبدًا بخدماته فى سبيل العمل، نشيطٌ لا ينام تقريبًا،

شخصية لا وصف لها.

نُقِل للمباحث الجنائية منذ أربع سنوات بعدما تعرض لحادثة في إدارة مكافحة المخدرات لا يعلم عن تفاصيلها أحدٌ في المديرية كلها؛ ولكن الجميع يؤكد أنها كانت وراء هذا التغيير المدمر في شخصيته، فمن عرفوه قبل انتقاله للمباحث يؤكدون أنه كان انسانًا ودودًا مرحًا مُحبًّا للحياة عكس ما هو عليه الآن تمامًا.

جلس إيهاب على مكتبه بعدما استدعى الساعي ليُحضر له قهوته المظبوطة وفتح ملف القضية التى يحقق فيها عندما رن هاتفه المحمول برقم صديقه المقدم طارق اسماعيل.

-إيه يا باشا فينك كل ده؟

-معلش كان عندى قضية كدة بحقق فيها، أنت عامل إيه يا ريس؟؟

-محتاجك في قضية مصيبة...

-خير!!

-لأ مش هينفع في التليفون تعالى أنا في مكتبي

-ماشي!! خمسة وأكون عندك.

أغلق إيهاب الهاتف وأخذ سترته وتوجه لمكتب صديقه طارق متسائلاً عن ماهية القضية التى تجعل صوت طارق بهذا الشكل.

*****

وصلت وسام لفندق الأمل بالمقطم؛ ذاك الفندق الذى يتكون من ثلاث طوابق، فندقًا بسيطًا متواضعًا؛ لكنه في ذات الوقت يفي بالغرض، كانت وسام قد نزلت فيه من قبل لدى عودتها من الخارج بعد وفاة والدتها قبل أن تنتقل للحياة بشكل دائم في منزل والدها، حجزت وسام غرفة وصعدت إليها فقد كانت منهكة القوى تمامًا لدرجة أنها لم تلتفت للجوع الذى كان يتلذذ بتعذيب معدتها.

ارتمت وسام على الفراش متأملة الغرفة الضيقة التى حلَّت ضيفةً عليها، كانت الغرفة متواضعة جدًا جدرانها بيضاء اللون، أثاثها قديم، فراشها متوسط الحجم، دولابها صغير، بها منضدة وحيدة خشبية أمامها كرسيان متهالكان.

زَفَرَت وسام في ضيق من التشتت الذى تحيا به لكنها كانت تحمد الله، فعلا ليست الغرفة بمستوى غرفتها القديمة القيمة ولكنها أفضل بكثيرٍ من المبيت في الشارع أو في فيلا قُتِلت فيها شقيقتها بأبشع الطرق.

أغمضت وسام عينيها مُترجية النوم يزورها ولو لبضع دقائق، لم تعرف متى غلبها النوم؟ أو لماذا عادت للمنزل مجددا؟

لقد تركته وقامت بحجز غرفة في فندق بعيدًا عنه، لماذا إذًا عادت له مجددا، فها هى ترى نفسها في غرفتها في فيلا والدها، تجلس على مكتبها أمامها جهازها المحمول، تتصفح بعض المواقع المختصة في تنزيل الكتب، انتقت كتابًا جديدًا يشكر الجميع فيه وبدأت في تحميله، خرجت من غرفتها لتعد لنفسها العشاء عندما جذب انتباهها شيء غريب، قطرات دماء جافة تفترش

الأرض أمام غرفة أختها، دماء من هذه؟

تتبَّعت وسام قطرات الدماء وجدتها تنتهي عند باب شقيقتها غير الموصود بعناية، أزاحت وسام الباب في بطء، لترى مشهدًا من أبشع ما يمكن؛ منظرًا لم تكن تتوقع رؤيته يومًا ما في الواقع، دماء في كل مكان؛ على الحوائط والفراش والمكتب كأنما اصطبغ كل ركن في الغرفة باللون الأحمر، من قام بهذا؟ وقفت وسام عاجزة عن الحركة والكلام، عندما وقعت عينيها على مصدر الدماء الذى حَوَّل الغرفة الجميلة لمسرح جنونٍ من الدرجة الأولى.

شاهدت وسام شقيقتها مُستلقية على ظهرها في وسط الغرفة، عيونها مفتوحة جاحظة تخلو منها الحياة، غارقة في بحر من الدماء التى تخرج من مواضع عدة فى جسدها كأنها نافورة مياه في أوّج أبداعها، في يديها مُدْيةٌ غريبة الشكل، شعرت وسام بالاختناق والشلل يحتل جسدها للحظات؛ تريد الصراخ أو البكاء، لكن صوتها أنحبس داخلها بنفس قدر انحباس دموعها داخل عينيها خائفة من ترك مكانها الآمن بين جدران جفونها، فجأة بدأت وسام تشعر بأنفاس حارة ساخنة تلامس رقبتها من الوراء، التفتت في بُطء وقد تصلبت شعيرات جسدها الرقيقة فى رعب حقيقى فهى تتوقع رؤية القاتل أمامها يريد قتلها هي أيضًا، لكنها وجدت آخر انسان تتوقع رؤيته، رأت شقيقتها تنظر لها وتبتسم في مُقت واضح وقامت برفع يديها بالسكين لتنهال عليها عندما.....

استيقظت وسام تلهث يُلجمها العرق، كأنما الهواء يرفض ولوج صدرها فى عناد، قفزت من فراشها فى سرعة واقتربت من النافذة تناشد نسمات الهواء العليلة

حتى هدأت الرجفة التى أصابت جسدها قليلاً وبدأت في احتواء خوفها تدريجيًا.

*****

دخل إيهاب مكتب طارق ليجده منهمكًا وسط مجموعة من الملفات، وبجانبه منفضة السجائر ممتلئة عن آخرها..

-إيه يا ابنى ده؟ أنت شربت سجاير البلد كلها! صحتك يا طارق!!

-صحتى إيه بس؟ أقعد.

جلس إيهاب أمام طارق الذى ناوله عدة صور مستطردًا في اهتمام

-شوف الصور ديه كدة.

-صور إيه دي؟

-بص بس..

أخذ إيهاب يتفحص الصور باهتمام شديد؛ بينما بدأت قسمات وجهه ترتسم فوقها الجدية المخلوطة بأمارات الاشمئزاز، فما يراه الآن يفوق جميع تصوراته في أبشع كوابيسه على الإطلاق، أرجع إيهاب الصور مجددًا لطارق مستطردًا في جدية..

-واضح أنها قضية صعبة ومش سهلة يا طارق!!

-أمال هتقول إيه لما تعرف ان القاتل ماسابش وراه بصمة واحدة ولا شعرة حتى..

رفع إيهاب حواجبه في دهشة حقيقية ففى مثل هذه الحوادث الدموية القاسية كثيرًا ما يُخطىء القاتل ويترك وراءه ولو أثرًا صغيرًا.

-شكلك هتتفحت يا ابني في القضية دي، طيب انت استجوبت الشهود ولا لسة؟

-لسة كنت مستني لما الشاهدة الرئيسية تفوق، كمان كنت مستني تقرير الطب الشرعي والمعاينة الجنائية.

-حلو! طلعت بمعلومات من الشاهدة يعني تدلك على أول الخيط.

نظر له طارق بثبات واستطرد في حُنق..

-لأ

-لأ إيه؟

-لأ مطلعتش منها بحاجة.

-ازاى يعنى؟!!!

-هحكيلك كل حاجة بالتفصيل بس أنا عاوزك معايا في القضية دي.

-لأ والنبي يا طارق! أنا عندي قضايا قد كدة غير إنى ماسك قضية قتل بردو مدوخاني؛ كفاية اللي عندي.

-بص الجريمة دي حصلت من كام يوم؛ أنا في الكام يوم دول دماغي لفت، القضية مفيهاش طرف واحد أمشي وراه؛ محتاجة شغل كتير ومن الآخر محتاجة حد دماغ زيك، أنا مش هقدر عليها لوحدي نفسيًا وبدنيًا انت عارف أنا مُنهَك

قد إيه، حقيقي محتاجلك!!

تنهّد إيهاب في صبرٍ واستسلام فهو يعلم سبب إجهاد طارق النفسي والبدني.

-هو انت لسة مصالحتش أرْوَى؟

نظر له طارق وبإجابة مقتضبةٍ استطرد قائلاً...

-لأ

-ليه؟

-عشان باعتني وتخلّت عني يا إيهاب.

ملأت الدهشة وجه إيهاب واستطرد في اهتمام:

- يا ابنى حرام عليك نفسك، كلّمها وحاول تصالحها بدل ما انت مش قادر تنساها كدة؛ انت لسة بتحبها وهى بتموت فيك، يبقى ليه المقاوحة؟

-مش مقاوحة يا إيهاب، بس أنا اعتذرت لها كتير واتذللت لها كتير عشان منتطلقش وبردو صممت على الطلاق أفهم من ده إيه؟

-تفهم منه إنها تعبت، ووصلت لمرحلة لا أسَفَك ولا تذللُّك يجيب نتيجة معها، طارق.....أروى بتحبك وكانت عاوزة تعيش معاك وانت كنت على طول مشغول وساييها.

-يعني هو أنا كنت ساييها بمزاجي مش بشتغل، كنت بخونها مثلا؟

-لأ مش بتخونها وكنت بتشتغل؛ بس هي ست ولها متطلبات ومن حقها تحس انها متجوزة وفى راجل في حياتها.

-انت بتدافع عنها كأني أنا اللي غلطان!!

-يا حبيبى انت مش غلطان، وهى كمان مش غلطانة؛ هي عاوزة تعيش معاك؛ وانت كنت غاطس في شغلك بطريقة زيادة عن اللزوم خلتها تطهق من حياتها، دلوقتي الدنيا هديت عن الأول، والشغل اللي كان الواحد بيقوم به لوحده بقى بيتقسم على اتنين وتلاتة يعني مش مُطالَب تتواجد في المكتب ٢٤ ساعة زي الأول، كلمها بقى وصالحها بدل ما انت متعذب في فراقها بالشكل ده.

زَفَرَ طارق بقوة شاعرا بحلْقه يحترق من الحنق والغضب الذي بداخله فهو لا يحب دلع النساء وشكواهم حتى ولو كانوا على حق، ألم يكن يعمل من أجلها ومن أجل ابنته؟ ألم يكن يعمل ويجتهد في عمله من أجل مستقبلهم ومن أجل تأمين حياة كريمة لهم؟ لماذا تذمرت ولماذا لم تقدر مجهوده وتعبه لأجلهم؟ لماذا؟

إنه يتذكر آخر محادثة تمت بينه وبين أروى؛ وعلى إثرِها انهارت حياته تمامًا وتم الطلاق، فراق المرأة الوحيدة التى لم يعشق مثلها يومًا لم يكن سهلا على الأطلاق، ولم يكن يتخيل أن بعدها عنه سيجعله يرى الحياة كئيبة ودون معنى أو هدف واضح، لقد مر على طلاقهم الآن أكثر من عامٍ؛ وبالرغم من ذلك لا زالت تسكن فؤاده وتشْغل عقله، يتذكرها كلما عاد إلى المنزل ووجده خاويًا باردًا كئيبًا، فقد كانت تملأ حياته حبًا ودفئًا مع وجود قرة عينه وحبيبة قلبه وردة؛ ابنته الوحيدة التى رزق بها بعد سنين طويلة من العلاج هو وأروى، كم يشتاق لهما ويشعر بالضياع من دونهما.

تذكر الحديث الأخير الذى دار مع زوجته قبل الطلاق بشهرٍ واحد، قبل انتهاء كل شىء بينهما، وقبل أن تأخذ ابنته عائدة إلى منزل عائلتها، محطمة أماله وحياته كلها برحيلها، كان عائدًا كعادته ليلاً بعد غياب أكثر من ثلاثة أيام في مهمة رسمية، عاد ليجدها جالسة في المطبخ تحتسى القهوة بعد أن غَفَت ابنتهم.

-انتي إيه إلى مصحيكي لحد دلوقتي؟

نظرت له أروى نظرةً خاويةً ولم تعرْه أي اهتمام وأكملت قهوتها في هدوء، اقترب منها غاضبًا واستطرد في حنق:

-هو أنا مش بكلمك؟ مبترديش عليا ليه؟

-وأرُد عليك ليه؟

-يعنى إيه تردي عليّ ليه؟ تردي عليّ عشان أنا جوزك ولا انتى عندك رأي تاني؟

-جوزي بأمارة إيه؟ قولى جوزي بأمارة إيه؟ بقالي ٣ أيام معرفش عنك حاجة ولا أنت تعرف عنا حاجة، احنا لو موتنا في غيابك يا طارق والله مش هتعرف، أنا خلاص تعبت.

-يا أروى أنا كنت في شغل مكنتش بلعب وماكنش ينفع أكلمك، أقسم بالله هي دي الحقيقة.

-متحلفش يا طارق عشان أنا مش بكدبك.....بس أنا تعبت، آخر مرة قعدنا فيها مع بعض كانت من امتى؟ آخر مرة خرجنا فيها كانت امتى؟ بلاش، آخر مرة شفت فيها بنتك اللي جبناها بعد عذاب كانت متى؟ يا أخي أنا بقالي سبع سنين متجوزاك لو حسبت شفتك فيهم كام مرة مش هيكملوا خمس ولا ست شهور على بعض، حرام عليك أنا تعبت ومش قادرة أتحمل أكتر من كدة.

اقترب طارق منها ليضمها إلى صدره ويطيب خاطرها فهى حبيبة قلبه الوحيد والإنسانة التي عاش معها أجمل أيام حياته قبل الزواج وبعده، لكنها أوقفته بإشارة من يدها ودموعها تغرق وجهها الجميل في ألم...

-متلمسنيش يا طارق! مبقاش ينفع تضحك عليَّ بأسلوبك ده، حقيقي يا طارق! أنا تعبت ومبقتش قادرة أعيش الحياة دي..

-يعني إيه؟

-يعنى.....بكرة هاخد بنتي وأروح عند أهلي، ولو سمحت زي ما دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف، وبنتك موجودة أي وقت تحب تشوفها تقدر تيجي في بيتنا تشوفها زي ما أنت عايز...

-أرّوى!

-خلاص يا طارق خلاص!

قالتها أرّوى واندفعت من المطبخ قاصدةً غرفة ابنتها، وأغلقت بابها في وجهه تاركةً أياه وحده يتحمل مرارة فقدانهم وألام حبه اليائس لها، في الغد استيقظ

طارق على بيت خاوٍ بعد أن غادرت أرّوى وابنته وردة المنزل ومعهم كل ملابسهم وأشياءهم الخاصة و.....ذكرياتهم.

بعد شهرٍ كاملٍ من المفاوضات ومحاولات الصلح الفاشلة؛ تم الطلاق ومعه انتهت حياة طارق الجميلة الدافئة التي عرف معناها مع حبيبته أرّوى.

-وانت مش ناوي تتجوز؟ هتفضل عازب إلى الأبد؟

ابتدر طارق صديقه إيهاب بالسؤال كاسرًا حاجز الصمت والذكريات الذين يدمران قلبه وعقله الحائر.

-أنا؟ لا خلاص.

-خلاص إيه؟

-أنا كبرت على حوار الجواز ده، أنا هتم ٣٩ الشهر اللي جاي وبعدين مين المجنونة اللي ممكن تقبل بواحد زي حالاتي ٢٤ ساعة بيشتغل؟

-ليه يا ابني عادى ما أنا مراتي.....

صمت طارق باترًا عبارته في حزن... عندها نظر له إيهاب وعيونه بها نظرة "مش قلتلك" واستطرد في هدوء حزين تملؤه مرارة الوحدة واليأس.

-طارق! انت مش عارف يعني إيه تروح كل يوم تلاقي الصمت هو اللي مستنّيك، وحدة وكآبة وبيت بارد مفيهوش روح، صدقني انت في نعمة مش عارف قيمتها.

خيَّم الصمت عليهم مُجددًا. فلم يعد للحديث قيمة؛ فكلاهما يعاني على طريقته،

إلا أن الألم والوجع هو ما يجمعهما.

-خلينا نرجع للشغل أحسن، أنا أستأذنت العميد فوزي إنه ينتدبك للتحقيق في القضية وهو وافق يعني ملكش حجة.

أومأ إيهاب رأسه موافقًا واستعاد شخصيته القديمة مُجددًا وهو يستطرد بحزم وقوة...

-أمري إلى الله! قولي إيه الحوار من الأول....

الفصل الخامس

غرفة مظلمة صغيرة لا يدخلها الشمس ولا القمر، كيان مظلم يقبع في نهايتها يجلس أرضًا مادًّا قدميه أمامه، ينظر للفراغ بعيون خاوية، لا تستطيع تحديد هويته من بعيد، ولكنك تشعر بالظلام والبرودة التى تخرج من داخله وتبث ريحها في كل ما حوله.....بجنون.

وصل طارق مديرية أمن القاهرة في تمام العاشرة صباحًا بعد ليلة طويلة قضاها مع إيهاب يتباحثان في معطيات القضية الصعبة التى هبطت فوق رؤوسهم ووجهت لهما الأنظار في مديرية الأمن، فمدير الأمن شخصيًّا هاتَفَه صباحًا؛ وأكَّد عليه سرعة التحريات ودقتها وسرعة الوصول إلى القاتل الذى بثَّ الرعب في قلوب سكان منطقة التجمع الخامس والقاهرة الجديدة بعد أن تسربت معلومات عن الجريمة البشعة للصحافة.

دخل طارق مكتبه ليجد إيهاب نائمًا على الكنبة بملابسه التي كان يرتديها أمس وحوله أوراق وصور القضية فضلاً عن أوراق أخرى خطَّ عليها كتابات كثيرة ومقترحات عديدة.

أيقظه طارق بهدوء مستطردًا:

-إيه يا ابنى أنت مروَّحتش؟

فتح إيهاب عينيه بصعوبة وهو يشعر أن حجرًا يقبع فوق أهدابِه واستطرد بصوت متحشرج:

-لأ مروَّحتش!!

-يخربيت عقلك طيب قوم..... أجيبلك فطار معايا؟

-أه أنا ميت من الجوع.

ضغط طارق زرًّا بجانبه ليدخل الساعي بعد لحظاتٍ مُؤديًا التحية العسكرية ومنتظرًا أوامر طارق...

-فرج! هاتلنا سندويتشات فول وطعمية وكوبيتين شاي بسرعة ليا أنا وإيهاب باشا.

-أوامرك يا باشا.

خرج فرج ليأتي بطلبات طارق الذى التفت لإيهاب مندهشًا من عدم عودته ليلة أمس لمنزله.

-يا ابنى هو احنا مش نزلنا مع بعض إيه اللي رجَّعك تاني؟

دَلَفَ إيهاب الحمام محاولا الاستفاقة بنثر الماء على وجهه، وهو يستطرد في خفوتٍ:

-أيوة وروَّحت فعلاً! بس لقيت نفسي مش طايق البيت قلت ارجع أشتغل.

-مجنون والله!!

-سيبك أنت، أنا امبارح قمدت فرزْت ملف القضية بناءً على المعلومات اللي عندنا والتقارير اللي جت عن منة توفيق ووسام توفيق.

-ها وبعدين....

جلس إيهاب أمام طارق وبدأ في التحدث بهمةٍ ونشاطٍ كما لو كان أمضى ليلته نائمًا مستريحًا في فراشه.

-بص يا سيدى:

منة توفيق السن ٢٧ سنة طالبة بالجامعة الألمانية الفرقة الرابعة بتشتغل في قسم التسويق في شركة دعاية وإعلان، بنت غنية، جميلة، عندها معارف وعلاقات بعدد شعر راسها كانت مخطوبة لشاب بيشتغل في بنك استثمارى وسابوا بعض من سنتين تقريبا من غير أسباب معروفة ومن ساعتها مكلموش بعض، والدها كان مدير بنك استثمارى معروف ورجل له اسمه وسمعته بردو من عائلة ميسورة الحال جدًّا، مات من سنة وكام شهر، والدتها كانت مديرة الائتمان في نفس البنك وماتت في حادثة من سنتين ونص، لها صديقة واحدة وهي أماني عبد الرحيم صديقتها من الجامعة وبتشتغل معها كمان وعاملة زي ظلها.

-تمام طيب ده يوصلنا لإيه؟

-أصبر.....نيجى لأختها وسام، اسمها وسام توفيق السن ٣٢ سنة، خريجة كلية تجارة جامعة اسكندرية، بتشتغل في قسم المحاسبة في شركة في مدينة نصر، مش مخطوبة ولم يسبق لها الزواج أو الخطوبة، انطوائية وملهاش معارف أو أصدقاء، والدتها كانت الزوجة الأولى لوالدها؛ اتطلقت منه لما اتجوز والدة منة عليها، بعدها بسنتين سافرت الإمارات اشتغلت مُدرسة لغة عربية هناك، وخدت وسام معاها، لما وسام كبرت رجعتها مصر تدرس في جامعة اسكندرية وعاشت عند خالتها، بعدين سافرت لوالدتها تاني بعد الجامعة، بعد كام سنة الأم ماتت بأزمة قلبية والبنت رجعت عاشت مع الأب وزوجته ومنة.

دي باختصار التحريات اللي وصلنا لها في الكام يوم اللي فاتوا من ساعة ما اكتشفنا الجريمة لحد اللحظة دي.

نيجي بقى للجريمة نفسها، الجريمة جريمة انتقام، وده واضح جدًّا من الطريقة البشعة الى اتقتلت بها منة.

السؤال بقى منة دي عملت إيه علشان حد ينتقم منها بالبشاعة دي كلها؟ ويا ترى مين اللي انتقم منها وقتلها من كل اللي هي تعرفهم؟

صوَّب طارق نظرات عينيه صوّب إيهاب بثباتٍ واهتمامٍ بالغين

-أختها!!!

-ليه بتقول كدة؟!!

-مش أبوها ساب مامتها وطنّشهم واتجوز أم منة.

-بس ده مش سبب يخلّيها تقتلها بالوحشية دي، كمان خلّينا نتفق ان اللي يقدر على جريمة زي دي لازم يكون أقوى من منة في الجسم، ومن الصور اللي موجودة في الملف لوسام ومنة، وسام دي ربع منة يعنى متقدرش تقطّعها بالشكل ده.

-طيب إيه؟ ما يمكن أجَّرت بلطجية ولا حاجة؟

-دي حاجة لازم نتأكد منها الأول من خلال تحرياتنا؛ بس مبدئيًا معتقدتش لأن أي بلطجي مهما كان حريص ودقيق في عمله لازم كان هيسيب أثر، بصمة، شعرة، أي حاجة، لكن تقرير الطب الشرعي أكّد أن مسرح الجريمة يخلو من أي بصمات أو دلائل.

-أوففففف طيب انت شايف إيه؟

قطع حديثهم دخول فرج حاملاً الشاي والسندويتشات، وضعها على المكتب أمامهم وخرج في هدوءٍ وسرعة، أخذ إيهاب كوبَ الشاى وأكمل حديثه في هدوء:

-بص لازم نتفق ان القاتل شخص القتيلة تعرفه كويس بدليل أن لا فيه أثار اقتحام أو كسر يعني المجني عليها فتحت له ودخلته عادي، تاني حاجة القاتل اتأذى من المجني عليها بشكل أو بآخر وعشان كدة قتلها بالوحشية دي، لو كان بلطجى عادى كان طعنها طعنتين ولا تلاتة وخلاص وكان سرق الفيلا على الأقل عشان تبان حادثة سرقة مش قتل وبس، لكن ده محصلش.

انتهى طارق من شطيرته الأولى واستطرد في حماس:

-طيب مين ممكن يكون القاتل؟ انت كدة بتفتح الباب ل٩٠ مليون واحد ممكن

يكون أي واحد فيهم هو القاتل.

نظر له إيهاب مبتسمًا بخُبث واستطرد في هدوء:

-ماضي منة هو الحل!

ظهر على وجه طارق أمَارَات عدم الفهم واستطرد بسرعة:

-تقصد إيه؟

-مش مهم دلوقتى هتفهم بعدين! المهم أنا عاوزك تجهزلي باقي التحريات عشان نكون جاهزين قبل التحقيقات، وتشوف لى حوار الخدامة وجوزها، دول أول ناس عاوزين نستجوبهم لأنى واثق أن هيكون عندهم معلومات عن حياة المجني عليها، يعني سمعوا كلمة كدة ولا كدة أي حاجة تفيدنا في إللي احنا فيه ده.

-اطَّمن! أنا بلغت وائل انه يجيبهم ليَّا في أسرع وقت ممكن، متقلقش!

بَتَرَ طارق عبارته فجأة، موجهًا نظرة استغراب لإيهاب وبحَبينٍ مقتضَبٍ قال:

-بس مقولتليش نكون جاهزين قبل التحقيقات لإيه بالظبط؟

-جاهزين يا صاحبي للى منة عملته في حياتها ووصَّلها أن دي تكون نهايتها، فهمت؟

-لأ!!

زَفَرَ إيهاب في ضجرٍ وضيقٍ واستطرد في غير اهتمام:

-مش مهم! أنا عندي مشوار مهم دلوقتي لازم أقوم به قبل ما ابدأ في أي حاجة.

-مشوار إيه؟!

-لما أرجع هاقولك، سلام.

ترك إيهاب صديقه طارق تتخطفه سهام التخبط وعدم الفهم، وتمسك بتلابيبه الحيرة، فهو لم يفهم حرفًا واحدًا مما تفوَّه به إيهاب؛ لكنه أوْمأ برأسه مستسلمًا فهو فى الأونة الأخيرة لم يعد يستطيع التركيز طويلا فى العمل نتيجة مشاكله الشخصية لهذا شعر بداخله بالأمتنان لوجود إيهاب فى القضية لأنه يعلم جيدا مدى كفاءته فى العمل، جذب طارق ملف القضية وفتحها ليجد صورة منة أمامه بزينتها وشعرها الأشقر وابتسامتها الواثقة التي كانت تميزها دائمًا، تأمل طارق الصورة أمامه متحدثًا إليها:

-يا ترى ضحكتك دي كانت سبب في تعاسة مين خليته ينتقم منك بالشكل ده؟

*****

في شرفة غرفتها؛ جلست وسام تتابع المارة بشارع ٩ بالمقطم، أنه الشارع الرئيسي الذي ينبض بالحياة دوما، بالسيارات والمحلات التجارية المختلفة، كانت وسام تعشق هذا الحي بالرغم من أنها لم تعش به كثيرًا، فقد حلّت ضيفة على تلك المنطقة أسبوعين فقط فور عودتها من الإمارات بعد أن قضت والدتها نحْبَها بصورة مفاجئة، لكنها أحبت هذا الحي لرُقيّه وهدوءه النسبي بالمقارنة مع شوارع وأحياء القاهرة المختنقة بالزحام والضجيج.

كانت تجد متعة كبيرة عندما يُحالفها الحظ في عمل مشترك بين فرع الشركة التي تعمل بها في مدينة نصر وفرع الشركة الرئيسي بالمقطم، فعندما تنتهي من عملها، تذهب للتنزه على كورنيش المقطم مرورًا بشارع ٩ والذي كانت تجد فيه راحتها لعشقها الذوبان وسط المارة الذين لا يعرفونها ولا يعرفون شيئًا عن حياتها وعذابها.

نعم عذابها الذي ذاقت طعمه على يد زوجة أبيها وابنتها منة وسط ضعف وتخاذُل الأب الذى صدَّق كذب وادعاءات زوجته وابنتها الباطلة دون أن يُمهل نفسه بعض الوقت للتأكد من صحتها، فعلى مدار خمس سنوات؛ ذاقت وسام فيهم ويْلات الكُره والحِقد الذى كان يملأ قلب زوجة أبيها وابنتها ضدها؛ دونما سبب واضح.

ما زالت تتذكر ذاك اليوم الذى حرَّضت فيه زوجة أبيها والدها عليها مُدعيةً أنها أساءت لها ولابنتها الطيّبة وتحدثت معهما بلغةٍ غاضبةٍ مهينةٍ؛ موجهَةً لهما الشتائم واللَّعنات، ولم تكتفِ بذلك؛ بل أوهمت والدها أنها أهانته في غيابه وأطلقت عليه لفظًا جارحًا لأنه طلق والدتها وتزوجها، وهذا بالطبع لم يحدث فوسام كانت صماءَ طوال الوقت حتى تتجنب مكائدهما التى لا تنتهي، يومها صعد والدها إلى غرفتها ودون حتى أن يطرق الباب، اقتحم غرفتها وجذبها من شعرها وقام بصفعَها بقسوةٍ على وجهها حتى انفجرت الدماء من فمها، لازالت وسام تتذكر كل لحظة كأنها البارحة وليست من سنوات عدة، لا تستطيع أن تنسى الرعب الذى شعرت به والألم الذى أحرق قلبها وحوَّل كل شيء في نظرها

للون أسود قاتم لا أمل فيه.

-اسمعي! انتي هنا في بيتي، جاية تعيشي مع بنتي ومراتي، يا تحترميهم، يا تاخدي بعضك وتروحي لأي مكان تاني، لكن قلة أدب وسفالة مش هسمحلك مفهوم!!؟

-مفهوم.

مازالت كلماته تلك تتردد في مسامعها، ومازالت الرعشة تنتاب جسدها كلما تذكرت، مازالت غصة الألم والحسرة في حلقها، تمنَّت ليلتها الموت والرحيل لأمها، علَّها تجد الراحة التي تفتقدها فى الحياة.

وبالرغم من أن والدها اكتشف بعد ذلك كذب ابنته وزوجته إلا أنه لم يقدم على أي فعل يُذكر، لا ولم يفكر في أن يُصالحها أو يُطيب خاطرها بكلمة أو حتى نظرة.

أغلقت وسام عينيها، وأطلقت العنان لدموع عينيها تغزو وجهها دونما أدنى مقاومة، فقد سئمت التظاهر بالقوة وهى قمة في الضعف.

"يا الله!! كم أنا مُجهَدة!! كم أحتاجك يا أمي!! فقد سئمت الحياة وسئمت مشاكلها التي لا تنتهي، منذ رحيلكِ والأوجاع لا تتركني كأنها توأمي في الحياة، مررت بمشاكل عدة آخرها هذه المشكلة التى يعلم الله وحده وتعالى كيف ستنتهي".

منة.....تلك الأخت التى لم تكن يومًا أختًا لها، بل كانت أشبه بالعقرب

السام الذى لا يتوانى عن فتك أقرب الناس إليه، لم تتردد يومًا في تحويل حياة وسام لجحيم منذ انتقالها للعيش معهما عقب وفاة والدتها، كم ذلَّتها وقهرتها وتعمدت إهانتها ليل نهار أمامَ صمت والدها وخنوعه، وجبروت وقسوة أمها.

لا تنكر أنها كرهتهم جميعًا بل وتمنيت لهم.....الموت بما فيهم والدها.

زَفَرَت وسام في قوةٍ مطلقة العنان لحُنقها وغضبها من الدنيا والحياة، دخلت الحمام، فتحت الماء البارد ووضعت رأسها تحته تاركة المياه الباردة تتخلل وتداعب خصلات شعرها الناعم طاردة كل ما يعذب عقلها ويلتهم تفكيرها في نهمٍ شديد، أغمضت عينيها ناشدةً بعض الراحة مُترجية الصداع أن يذهب إلى غير رجعة:

تذكرت حوارها مع شقيقتها منة عندما كانت توسوس لوالدها بالأشتراك مع والدتها لتنغيص حياتها وخلق مزيد من المشاكل والأزمات بينها وبينه إمعانا في تعذيبها.

-انتي ليه بتعملي كل ده؟ إيه الى بتستفديه من أذيِّتك ليَّا؟ ده أنا أختك؟ أختك الوحيدة!!

كانت منة تقف أمامها ترمُقَها ببغضٍ واستهزاءٍ منها ومن حديثها.

-عشان بكرهك ومش عارفة انتي جاية هنا ليه؟

نزل ردها كالصاعقة على رأس وسام التي سألتها:

-بتكرهيني ليه يا منة؟ أنا عملتلك إيه عشان تكرهيني كدة؟ ثم هتستفيدي إيه من أذيَّتك ليَّا وخلق مشاكل بينى وبين بابا؟

-هستفيد أني هعمل الي عاوزاه، إني ماسبش حد يتحكم فيَّا، أنى مخليش واحد زيّك تبقى وصي عليّا وتعملي فيها الست الحكيمة وتروحي تكلمي بابا عشان مايسبنيش أعمل اللي أنا عاوزاه وأعيش حياتي بطريقتي الخاصة.

-أنا خايفة عليكي. انتي متهورة وهتعرضي نفسك للأذى.

أطلقت منة العنانَ لضحكتها الرقيعة التى كانت دوما تميزها ونظرت لوسام باحتقار وازدراء:

-انتي بتنصحيني أنا؟ عاوزاني أكون سلبية زيّك؟ أشوف الدنيا بتمر من بين إيديّا وملحقش منها حاجة؟ أديكي أهوه عايشة في الدنيا وجودك زي عدمه لكن أنا الناس بتتمنى نظرة واحدة مني، بخرج وبتفسح، بشتغل في شركة انتي متحلميش تعدي من قدامها، عندي اصحاب بعدد شعر راسي، أنتي بقى عندك إيه؟ ولا حاجة روحى انصحى نفسك الأول قبل ما تيجي تنصحيني.

أومَأت وسام برأسها في هدوءٍ وابتسمت لها في سخرية مريرة؛ وحلت نظرة الشفقة في عينيها من جهل أختها بالحياة وقيمتها واستطردت في قوة:

-أنا يمكن أكون في نظرك ونظر اللي زيك إنسانة سلبية، مليش وجود، بس الحقيقة مش كدة، الدنيا متستاهلش اني أجري وراها زي الكلب المسعور، أتصاحب على ده، وأصيع مع دي، وأسهر طول الليل ومروَّحش غير وش الصبح

باتطوّح، وفى الآخر أأذي اللي بيحاول يساعدني. عارفة يا منة أنا أمي الله يرحمها كانت دايما تقولي إيه؟ كانت دايما تقولى "كونى في الدنيا دي عابر سبيل، يخدم الكل، وميطمعش في حاجة مش بتاعته، ولما ييجي أوان رحيله، الكل يحزن عليه ويفتكره بالخير"، انتي بقى لما هييجى أوان رحيلك يا ترى الناس هتقول عليكى إيه؟!!

تركتها وسام ورحلت بعدما ألقت عليها نظرة إزدراء وهي تعلم جيدا أن حديثها لن يؤثر شيئًا في شقيقتها، لكنها كانت سعيدة أنها ألقت على مسامعها ما بداخلها ولو لمرة وحيدة في حياتها، كانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التى تحدّثا فيها سويًا.

أغلقت وسام صنبور الماء وجففت شعرها، وغيرت ملابسها وهبطت للشارع تلتحم بزحامه.

*****

أوقف إيهاب سيارته أمام الفيلا التى بَدَت كئيبةً ومنفرةً بشكلٍ غريبٍ بالرغم من سطوع الشمس، مما جعل قلب إيهاب ينقبض بشدة؛ برغم أنه رأى خلال العشر أعوام السابقة من عمله ما يشيب له الولدان، لكن ولسبب غير معلوم بثّت هذه الفيلا في قلبه الرعب.

أحكم إيهاب غلق سيارته، وتحسّس مسدسه، وتقدم ببطءٍ صوّب بوابة الفيلا، تلفّت يُمنة ويُسرة يعاين موقع الفيلا الفريد، الفيلا التي يحيط بها من اليمين

بناية سكنية جميلة تتكون من خمس طوابق، لا يسكن بها سوى عائلتين فقط في الطابق الثاني والثالث؛ كما أظهرت التحريات أنهم لم يروا أو يسمعوا شيئًا غريبًا يوم حدوث الجريمة، ويحيط بالفيلا من اليسار فيلا جميلة مغلقة؛ وعندما تم التحري عن أصحابها عُلِم أنهم يعملون بالخليج ولا يعودون إلى مصر إلا مرة واحدة في أجازة الصيف، أما الجهة المقابلة للفيلا فكانت عبارة عن مبنى إداري لأحد البنوك الإستثمارية التي لم تدخل الخدمة بعد، لكن لاحظ إيهاب وجود كاميرات مراقبة أمام بوابته.

أزاح إيهاب السياج الحديدى ببطءٍ ودخل، كانت الحديقة جميلة بالرغم من صغر حجمها، بها أحواض وورود مختلفة الأشكال والألوان ما بين زهور بيضاء وبنفسجية وورود حمراء جميلة تسُر الناظرين فضلاً عن أنواع مختلفة من أزهار التوليب جعلت إيهاب يشعر بالراحة لرؤيتهم وهو يسير متأملاً كل شبر فيها علّه يعثر على دليل لم يلْحظه رجال المعمل الجنائي.

اقترب ببطءٍ من الباب الخلفي للفيلا، حاول فتحه لكنه كان مغلقًا بجنازير يعلوها الصدأ كأنما لم يُفتح من سنين طويلة، عاد إيهاب مجددًا لباب الفيلا الرئيسي، فوجد الشمع الأحمر مُلقى أرضًا فأزاحه بقدمه بعيدًا وأخرج من جيبه مفتاح الباب ودخل.

كانت الفيلا تغرق في ظلامٍ دامسٍ ألقي بعض الرعب والانقباض في قلبه؛ لكن نظرًا لطبيعته وقدراته العقلية طرد هذه الأفكار والمخاوف من رأسه، فهو هنا ليعثر على خيطٍ يبدأ به التحقيق، خيطٍ يساعده في تحديد نوع المجرم القادر

على القيام بمثل هذه الجريمة القاسية، وما الصلة التي تربطه بالمجني عليها، خيطٍ يجعله يتفادى التحقيق مع تسعين مليون مصري كما قال له طارق.

أضاءَ إيهاب الكشاف الذى كان يحمله وتابع المسير داخل الفيلا المؤثَّثة بعنايةٍ أبهرته، كانت الفيلا كبيرة جدًا من الداخل ومؤثّثة بالكامل بأثاثٍ خليط بين الأثاث الكلاسيكي والحديث تنم عن ذوقٍ أنثويٍّ راقٍ وثراءٍ فاحشٍ.

جَال إيهاب بعينيه أرجاء الطابق الأول علّه يجد شيئًا غريبًا أو أثرًا هنا أو هناك ينتظر من يكتشفه ولكنه لم يجد شيئًا، فقط أثار أقدام رجال المباحث والمعمل الجنائي، وأثار بحثهم في أرجاء المنزل والتى خلّفت وراءها أثاثًا مبعثرًا في كل مكان.

"هما كانوا بيبحثوا عن أدلة، ولا بيفسدوا مسرح الجريمة؟" همس إيهاب لنفسه بهذه الجملة تعليقًا على ما آل إليه مسرح الجريمة جراء ما اقترفه رجال المعمل الجنائي، فمن المحال أن يجد شيئًا وسط هذا الدمار الشامل الذى أصاب الفيلا من الداخل.

أطلق إيهاب تنهيدةً تحمل الكثير من المعاني وصعد للطابق العلوي حيث غرفة منة؛ راجيًا الله ألا تكون أصابها مثلما أصاب باقي أرجاء الفيلا، وإلا فلا جدوى من وجوده هنا.

خمس غرف هي مجموع غرف الطابق العلويّ، غرفتان على اليمين وغرفتان على اليسار وغرفة تقبع بينهما في نهاية الرواق، تفحّصهم إيهاب الواحدة تلو

الأخرى، كانت الغرفة الأولى بجوار الدرج غرفة مكتب الوالد؛ ولم يكن بها أي شيء غريب أو غير معتاد بل على العكس تمامًا كانت نظيفةً ومرتبةً؛ كما ظهر أنها كانت غير مستعملة من قبل الأختين فقد كان كل شيء في مكانه كأنها مهجورة لم يطأها شخصٌ منذ فترة.

أما الغرفة بجوار غرفة المكتب فكانت عبارة عن حمامٍ واسعٍ تفحّصه إيهاب سريعًا لكن لم تقع عيناه على شيء يسترعي انتباهه، توجه إيهاب صوْب الغرفة الفاصلة بين الغرف الأربع في نهاية الرواق، كانت غرفة نوم كبيرة تحتوي على صور والد ووالدة منة، ولم يكن بها ما يثير الريبة، فكل شيء في مكانه الطبيعي مما جعل إيهاب يُلقي نظرةً سريعةً على الغرفة ويُغلقها، توجه بعد ذلك للغرفة قبل الأخيرة متوقعًا إياها نظيفةً ومرتبةً شأنها شأن الغرف الأخرى إلا أن ما اصابه من غثيانٍ بسبب الدماء المتناثرة في كل مكانٍ، سواءً على الجدران أو الفراش أو المكتب أو الأرضيات لم يترك له أي فرصة لالتقاط الأنفاس؛ بل وجد نفسه أمام مشهدٍ حاول القاتل فيه غسْل الغرفة بدماء ضحيته.

تراجع إيهاب خطوتين للوراء محاولاً استجماع قوته وتهدئة أعصابه وتمالك نفسه؛ لما له من قوة وحنكة اكتسبها مما مرَّ عليه من القضايا الصعبة؛ لكنه تيقَّن أن هذه القضية تختلف كثيرًا عما واجهه من قبل؛ فوحشية القاتل تخرُّ أمامها دموع أشجع الرجال صريعةً، كيف قتلها بهذا الشكل المروّع؟ وكيف لم يكتف بتمزيق جسدها وتصفية الدماء منها بل قام بنثرها أيضًا في كل مكان كأنما يريد للعالم كله رؤية ما فعله بها وكيف انتقم منها؟

حاول إيهاب استعادة رباط جأشه، وأخرج من جيبه قفازًا طبيًّا ارتداه في سرعة ودخل الغرفة محاولاً كشف اللثام عن أي دليل غاب عن الأدلة الجنائية؛ في خضَمّ أطنان الدماء المنثورة التي طَالَت كل شيء في الغرفة.

كان الدم جافًّا؛ حاول إيهاب بكل الطرق تفاديه لكنه كان في كل مكان كأنما القاتل أمسك ضحيته ومزقها أشلاءً في الغرفة، كتم إيهاب أنفاسه حتى لا تتسلل رائحة الدم والموت إلى رئتيه، كانت الغرفة جميلة ومؤثثة بأثاث فاخر جميل قبل أن تحدث بها الجريمة وتُحولها لجحيم مستعر.

جابَ إيهاب جميع أرجاء الغرفة بدءً من دولاب المجني عليها العامر بالملابس الغالية من أرقى وأغلى الماركات العالمية إلى مكتبها الخالِ من أي شيء سوى الدماء المنثورة عليه مرورًا بالتسريحة حتى توقفت عيناه عند شيءٍ يبرز ضوئه بشكل ملفت.

بجانب الكومودينو الملاصق للحائط ظهر لإيهاب ذاك الشيء المضيءُ الذي يقبع أرضًا في هدوء منتظرًا من يبحث عنه وينتشله من مخبئه ويقوم بفحصه، اقترب إيهاب ببطءٍ منه وأزاح الكومودينو بعيدًا حتى يستطيع سحبه، انحنى إيهاب ليلتقط خاتمًا فضيًا منقوش على شكل وردة كبيرة، كان الخاتم جميلاً ومميزًا، لسبب ما لم يستطع إيهاب تفسيره وقتها، شعر بأن هذا الخاتم هو ضالَّته وأنه ما كان يبحث عنه، فهذا الخاتم الجميل كان ملطخًا بالدماءِ بالرغم من وجوده في مكان لم تصل إليه الدماء، إذًا كيف لوَّثته الدماء؟

"غريبة" قالها إيهاب لنفسه قبل أن يقطع حبل أفكاره رنين هاتفه المحمول قاضيًا معه على أي أمل له في الأنجاب مستقبلاً. تناول إيهاب هاتفه بعدما تمالك أعصابه بصعوبة ليجد طارق هو مُحدثه:

-ألو يا إيهاب أنت فين؟

-حرام عليك يا طارق قطعت خلفي في إيه؟

-إيه ده ليه؟ هو انت بتعمل إيه؟

-مش وقته لما اجي هحكيلك في إيه؟

-تحليل الدم جه؟

-هاه والنتيجة.

-مش هتصدق يا صاحبي، مفاجأة بكل المقاييس!!

الفصل السادس

أنهت وسام ارتداء ملابسها سريعًا عاقدة العزم أن تعرف من قَتَل شقيقتها منة؟ ليس حبًّا في شقيقتها ولا رغبةً منها في إيجاد قاتلها ولكن حتى لا تعطيها الفرصة لتدمّر حياتها حتى بعد وفاتها، فجميع الشبُهات تحُوم حولها هي باعتبار أنها من اكتشفت الجريمة ولا يوجد أثار اقتحام أو كسر لأبواب الفيلا أو أحد النوافذ ولن تصمد الشرطة طويلاً حتى توجه لها أصابع الاتهام، وهو ما لن تسمح به أبدا، يكفى ظلم لها ولحياتها حتى هذا الحد.

عندما وقفت أمام المرآة هَالَهَا ما رأت؛ شاهدت حزنًا محفورًا بقسوةٍ في معالم وجهها، رأت خطوطًا سوداء منتشرة بكثرة حول عينيها، تُحيطها في قوةٍ راسمةً تجاعيد ألم وحزن وقهر سنين طويلة، فمن يراها لا يمكن أن يعطيها عمرها الحقيقى، بل يعطيها ضعف عمرها، فهى عجوزٌ لكن في سن الثلاثين.

تنهدت وسام في صمتٍ حزين وعَقَصَت شعرها من الخلف وخرجت في طريقها إلى مديرية أمن القاهرة.

*****

استغرق وصول إيهاب لمديرية الأمن الساعة ونصف الساعة، وتوجه من فَوْره لمكتب طارق الذى كان منهمكًا في عدة تقارير أمامه أخفته عن عيون من يدلف مكتبه، رفع طارق رأسه عند دخول إيهاب وبدأ في سرد كل التفاصيل التى حصل عليها في غيابه لدرجة فقد فيها إيهاب تركيزه وأوقفه بإشارة من يده حتى يستوعب ما يقوله:

-بالراحة بالراحة يا ابني! مش فاهم منك حاجة! اهدى كدة واشرحلي كل حاجة بالتفصيل وبالراحة.

ابتلع طارق ريقه بصعوبة وهو يُحاول السيطرة على أعصابه قدر المستطاع واستطرد في حماس شديد:

-بعد أنت ما خرجت وائل جابلي التقارير اللي كنت كلفته بيها عن وسام ومنة ومش هتصدق لاقيت إيه؟

-لاقيت إيه؟!!!

-استنى!!

تناول طارق من جانبه ملفًا فتحه وأخرج منه ورقًا بدأ يقرأ فيه:

-اسمع يا سيدى، ده تقرير عن وضع وسام ومنة المالي لما انت قلتلي انك مش شاكك في وسام؛ لأن مفيش دليل مادي، أنا قلت لازم نتأكد قبل ما نستبعدها تمامًا من دائرة الاتهام وده الى خلاني أقول لوائل يجيب لي بيانات عن أرصدة الاتنين المالية؛ بالذات لأن فيه فروق مادية كبيرة بينهم تثير الشك.

ظهرت على وجه إيهاب أمَارَات الاستغراب وعدم الفهم:

-مش فاهم!!

-هقولك! لما وسام اكتشفت الجريمة وبلغت، رُوحنا هناك وفتشنا البيت أوضة القتيلة وأوضة وسام ومعظم الفيلا، لاحظت حاجة خلتني أشك في المستوى المادي للأختين؛ أن في حد أغنى من حد، يعني مثلا منة لاقينا عندها هدوم من أغلى الأنواع والماركات العالمية ودهب وألماظات، في حين ان لما فتشنا أوضة وسام لاقينا هدوم عادية مش ماركات غير طبعا لا لاقينا لا دهب ولا مجوهرات ولا أي حاجة خالص، حتى نوع الكمبيوترات؛ واحدة الكمبيوتر بتاعها أبل والتانية كمبيوتر صيني معرفش حتى ماركته، ولما كنت باستجوب وسام في المستشفى قالتلي أن منة كانت هي اللي مسؤلة عن البيت وهي اللي بتدفع مرتب ناهد الخدامة وجوزها حسين الجنايني.

-آه يا طارق! بس دي مش أدلة على ان وسام أفقر من منة!!

نظر طارق مباشرة في عين إيهاب واستطرد في خُبث غريب:

-طيب تفسر بإيه ان واحدة راكبة عربية آخر موديل تمنها ميقلش عن نص مليون جنيه وواحدة معندهاش حتى بسكلتة، بلاش واحدة بتشتغل في شركة أمريكية بتاخد سبعة ألاف جنية في الشهر غير الحوافز والعمولات وواحدة بتشتغل في شركة متوسطة في قسم الحسابات ومرتبها ألف وخمسميت جنية ده بالحوافز بيقى ازاى؟

-ما يمكن هي واحدة بسيطة وبتحب البساطة!!

-نعم؟ والنبى متقعنيش، هو في بنت هيبقى عندها فلوس ومرتاحة ماديا وهتحرم نفسها من عربية وهدوم ومجوهرات وتروح تشتغل شغلانة تهد الحيل بالف وخمسميت جنية في الشهر وهى بنت راجل كان مدير بنك كبير ووارث قد كدة عن عيلته ده في أنهى كوكب ده يا إيهاب؟

تنهَّد إيهاب في صمت واستطرد في هدوء:

-طيب ولاقيت إيه؟

-زى ما خمنت؛ واحدة رصيدها في البنك أكثر من اتنين مليون جنيه غير فيلا التجمع وفيلا في مارينا؛ كل ده باسمها بيع وشراء، وواحدة رصيدها ١٨ ألف و ٢٥٠ جنيه.

-إيه؟!! انت بتقول كام؟!!

-زى ما بقولك كدة.

-طيب ازاى؟

-ده بقى اللي لسة هنشوفه؛ أنا دوَّرت على محامي أبوهم وكلمته بس مكنش موجود، شوية وهروح له في مكتبه.

تراجع إيهاب للوراء وهو ينظر لطارق غير مصدق ما سمعه للتوّ، إذا كان الأب ثري لهذه الدرجة فكيف تكون إحدى بناته بهذا الفقر المدقع؟ ولماذا؟ هل يكون هذا هو السبب وراء قتلها لشقيقتها؟ بل هل تكون هي القاتلة بالفعل؟ إنه لا يصدق ذلك ولكن ما معنى هذا التفاوت الغريب بينهما؟

-طيب قولي عندك إيه تاني؟

-التقرير التاني اللي وصلني عن منة فيه معلومات خطيرة وممكن تكون خيط نبحث وراه.

اقترب إيهاب بوجهه في اهتمام شديد مستطردًا في حماس:

-كمل..

-بص يا سيدى! منة زي ما انت عارف كانت بتشتغل في شركة أجنبية في مصر الجديدة مع صاحبتها الأنتيم أماني، بس اللي متعرفهوش انها كانت كل يوم بتسهر مع أماني في نادي خاص اسمه Columbus في مصر الجديدة، يخلصوا شغلهم يطلعوا على هناك يسهروا لحد الفجر وبعدين يروّحوا، الكلام ده بقاله أكثر من أربع سنين، حقيقي عمرها ما فوّتت يوم حتى لما أبوها وامها ماتوا كانت بتقطع لمدة أسبوع وترجع تاني لعادتها القديمة.

هزّ إيهاب رأسه في سخريةٍ واستطرد مبتسمًا:

-البنت كانت بتتعب الصراحة!!

-فعلاً..... بس ده مش كل حاجة.

-اشجيني!!

-التقيل بقى يا باشا تحليل الدم.

-أيييييييوة!!!

-تحليل الدم أثبت ان في دم منة نسبة عالية من المخدرات؛ الهانم كانت مدمنة هيروين وبتتعاطاه بشكل يومي.

-يا عيني، دماغ ولاد الذوات! .....كدة وعلى حسب المعلومات الجديدة جريمة القتل حصلت نتيجة حاجة من الاتنين يا مخدرات يا انتقام من أختها.

-بالظبط كدة..

-تمام.....سيب لي أنا بقى حوار المخدرات ده، انت عارف ده تخصصي، أنا هجيب لك كل المعلومات عن Columbus والديلر اللي بيشتغل هناك من زمايلى القدام في المكافحة، واللي أكيد هيدلّنا على القاتل؛ ده لو مكنش الديلر ده هو القاتل أصلاً.

-تمام وأنا هطلع على المحامي أشوف حوار الفلوس ده إيه؟ قولي انت كنت فين؟ وعملت إيه؟

أخرج إيهاب كيسًا بلاستيكيًا من جيبه حيث يقبع بداخله الخاتم الذى وجده مستقرًا ينتظر من يكتشف حقيقته، وضع إيهاب الكيس أمام طارق وهو يستطرد في حماس:

-كنت في فيلا منة توفيق بحاول ألاقي أي دليل يفيدنا في القضية، لاقيت هناك

ده.

أمسك طارق الكيس ونظر للخاتم الذى بداخله وسأل إيهاب باستغراب

-إيه ده؟ لاقيته فين ده؟!!

-لاقيته عند رِجْل الكومودينو الى جنب سرير منة عند الحيطة.

-أيوة أهميته إيه يعني؟ ما هي عندها مجوهرات كتير!!

-أهميته انه كان وراه الكومودينو من ناحية الحيطة والحتة دي مكنش فيها دم، يبقى الخاتم أتلطخ بالدم ازاى؟ أنا عاوزك تبعته للطبيب الشرعي يشوف لي عليه بصمات مين؟ كمان عاوزك تشوف لي كاميرات المراقبة الخاصة بالمبني الإدارى اللي قدام الفيلا يمكن تكون لقطت حاجة يوم الجريمة.

-أيوة! بس المبنى لسة ماشتغلش؛ يبقى الكاميرات هتكون شغالة أزاى؟

-يا سيدي ما يمكن تكون شغالة؛ شوفها مش هنخسر حاجة.

-ماشى حاضر، طيب أنا هاروح دلوقتي للمحامي وفي الطريق هابّعت الخاتم للطب الشرعي.

-تمام! وانا هشوف حوار دماغ ولاد الذوات!!

-اتفقنا.

افترقا؛ كلٌّ في طريقه للبحث في معطيات القضية التى بدأت تتضح ملامح غموضها شيئًا فشيئًا، إلا أن سؤالاً واحدًا ظل يُلح بقوة في عقل إيهاب؛ لو وسام

هي القاتلة كيف استطاعت قتل شقيقتها بتلك البشاعة حتى ولو كان السبب هو المال؟ أيُعقل أن يفقد الإنسان إنسانيته بهذا الشكل المروِّع من أجل المادة؛ حتى ولو كان المال هو ما يسعي له الجميع؟ ولو كان هذا هو الواقع للأسف لماذا هذه الطريقة المقززة ولماذا الآن؟ لماذا لم تقتلها سابقًا أو حتى لماذا لم تقتلها بطريقة أقل بشاعة حتى لا تثير الشبهات وتجذب أصابع الاتهام نحّوها؟ لم يجد إيهاب بداخله أجوبة مقنعة لأسئلته الكثيرة إلا أنه أرجأ ذلك لما بعد التحقيقات لعلَّ وعسى يستطيع التوصل لأجوبة تُريح عقله من زَخَم الحيرة وعذاب التفكير.

*****

وصلت وسام مديرية أمن القاهرة بعد أكثر من ساعة في زحام وسائل المواصلات التى لا ترحم من يستخدمها، فهى لا تستطيع تحمل تكاليف سيارات الأجرة التى تأخذ أكثر من خمسين جنيهًا في المشوار الواحد ذهابًا وإيابًا، وفى بعض الأوقات ومع زحمة القاهرة الخانقة تكون ذهابًا فقط وهو ما يجعلها تلجأ رغمًا عنها لوسائل المواصلات العامة التى تُنهكها بدنيًّا ونفسيًّا وتعرضها لأنواع مختلفة ومتعددة من التحرش؛ تتنوع بين اللفظي والبصري وأحيانًا كثيرة تحرش بدنيّ فقدت معه وسام القدرة على الاعتراض والحزن، أصبحت للأسف تتمتع بلامبالاة من كثرة ما مرت به مما جعل الحزن مشاعر طبيعية تشعر بها يوميًّا في كل لحظة تمر عليها في حياتها.

صعدت وسام لمكتب المقدم طارق إلا أنها لم تجده بمكتبه، والساعي لا يعرف موعد عودته، فكرت في نفسها؛ هل تعود للفندق وتأتِ له مرة أخرى أم تجلس وتنتظره لحين عودته حتى ولو تأخر، فمنذ أن قال لها أنها هي المتهمة الرئيسية في هذه القضية وهي تشعر بالرعب والقلق؛ فكثيرًا ما تتخيلهم يأتون لها يُلقون القبض عليها، لا! ستنتظره حتى يعود ولن ترحل حتى تعرف مصيرها؛ هل هي مجرمة في نظر القانون أم بريئة ساقَتّها ظروفها السيئة أن تكون شقيقة القتيلة التى تم قتلها بوحشية.

-ممكن استناه!!!

قالتها وسام للساعي الذى أجابها ببساطة وتلقائية:

-أه يافندم! اتفضلي في الاستراحة.

قادها الساعي لغرفة جانبية صغيرة بها مقاعد خشبية قديمة، وكنبة جلدية لونها بني متهالكة، جلست عليها وسام تنتظر قدوم طارق وهي تدعو الله أن يُنجيها من هذه الكارثة على خير، فمن يعلم ما تخفيه الأيام لها من مفاجآت.

الفصل السابع

عرج إيهاب على مكتب صديقه القديم حسام الطوبجي زميله في إدارة مكافحة المخدرات والوحيد القادر على تزويده بكل المعلومات المتعلقة بتلك النوادى الليلية الخاصة.

-إيهاب باشا!! حبيبي وحشتني! إيه يا عم من ساعة ما روحت المباحث ومحدش بيشوفك!

-مشاغل يا عم والله! أنا مش عارف أخد نفسي من كتر الشغل! بس ليك وحشة بجد!!.

قالها إيهاب مُحتضنًا صديقه حسام الذى لا يعتبره زميلا فقط بل صديقًا عزيزًا عليه، فهم أصدقاء منذ أكثر من سبع سنوات خدمة في مكافحة المخدرات وكان زميله أيضًا في الكلية ودفعة واحدة ولولا مشاغلهما الكثيرة لمَا ابتعدا عن بعضهما كل هذه المدة دون لقاء أو موعد، جلس إيهاب أمام مكتب حسام وطلب الأخير له قهوته المعتادة وبعد السلامات والترحيب الحار بدأ العمل.

-بص يا عم أنا جايلك في موضوع مهم.

-خير أؤمرني.

-تعرف إيه عن نادي Columbus في مصر الجديدة؟

-إيه انت ناوي ترجع تاني لمكافحة المخدرات ولا إيه؟!!

-لالالا مخك راح بعيد! أنا بس عندي قضية قتل، المجني عليها كانت بتروح Columbus كل يوم بتسهر هناك هي وشلّتها، وطبعًا زي ما انت عارف.. كانت مدمنة لاقينا في دمّها هيروين واضح انها كانت مقضّياها حلو؛ وكنت عاوز أعرف مين الديلر هناك لإني شاكك ان الجريمة وراها المخدرات عشان كدة جيتلك يا باشا.

هزَّ حسام رأسه في تفهُّم واكتَسَى وجهه جديةً وصرامةً واستطرد في هدوء:

-Columbus ده نادي من النوادي الخاصة الكتيرة اللي منتشرة على مستوى الجمهورية خاصة القاهرة والاسكندرية، نادي من النوادي الى مش أي حد يدخله، واللي عشان تدخله لازم تكون عضو فيه أو جاي مع عضو فيه، طبعًا مش محتاج أقولك بيتعامل إيه جوَّاه؟ لأن كل اللي ممكن تتخيله وأسوأ منُّه كمان بيتعمل؛ دعارة، مخدرات، شذوذ، قمار، كل شيء مُباح!!

عقد إيهاب حاجبيّه في تساؤل مستطردًا في حيرة:

-طيب وسايبينه مفتوح ليه لغاية دلوقتي؟

نظر حسام لصديقه نظرةً ذات مغزى وهو يستطرد في حسرة:

-جرى إيه يا إيهاب!! أنت نسيت ولا إيه اللي بيحصل هنا؟ ما انت عارف مين بيملك النوادي ديه؛ واننا ببساطة منقدرش نقرب جنبهم، يدوبك نراقب من بعيد ونسكت يا كدة يا نتنفى في آخر حتة في مصر أو نخرج برة الخدمة معاش مبكر .....وبيني وبينك مايستهلوش ان الواحد مستقبله يضيع بسببهم؛ هما بيموتوا بالتدريج يا من الإدمان يا من القرف اللي بيعملوه.

زَفَرَ إيهاب في قوةٍ وتذكر زميلاً لهم أخذته الحماسة في التصدى لأحد النوادي الليلية التى كان يملكها أحد رجال الأعمال المحسُوبين على النظام السابق؛ فقرَّر مُداهمتها والقبض على كل من فيها؛ بما فيهم ابن رجل الأعمال والتحفظ على كل الممنوعات التي كانت في حوزته هو ومن معه، ناهيك عن أنه تم الإفراج عنهم في خلال ٢٤ ساعة فقط مع إعادة كل الممنوعات التي تم ضبطها معهم والاعتذار لهم عن الخطأ غير المقصود الصادر من ضابطٍ لم يقم بواجبه على أكمل وجه، إلا أن رجل الأعمال لم يكفيه ذلك؛ وقام بتأجير بلطجية للقيام بالواجب مع زميلهم هذا، مما مثَّل صدمة لهم جميعًا وفضيحةً كبرى في الإدارة التي لم تستطعْ حتى توجيه أصابع الاتهام ضد رجل الأعمال واكتفت بإغلاق القضية وقيّدها ضد مجهول.

-لأ مانستش يا حسام!! بس كنت فاكر ان الدنيا اتغيرت!!

-مفيش حاجة اتغيرت!! الغني لسة غني والفقير كل مدى عمال يفتقر أكثر،

واحنا زي ما احنا، الكويس فينا بيداس بالجزم، والقذر بيرفعوه لسابع سما، القذارة هي هي يا صاحبي!

عمَّ الصمت أرجاء المكان لبضع ثوانٍ! فقد كانت الحقيقة قاسية كالحجر على قلوبهم، لم ينقذهم من صمتهم الثقيل سوى دخول عم عبده بالقهوة، ذاك الرجل العجوز بركة المكان الذي رحَّب بإيهاب في ودٍ وطيبة، وهو يدعو له بوافر الصحة والنجاة والحياة الكريمة.

استطرد إيهاب حديثه في اهتمام:

-طيب قولي مين الديلر هناك؟

-استنى هديلك الملف الخاص بالنادي ده فيه كل اللي انت عاوزه...

أخرج حسام من درج مكتبه ملفًا مكتوبًا عليه Columbus، الذى ما إن استلمه إيهاب حتى فتحه في لهفة لقراءة التحريات الخاصة به، وكانت الصدمة...

فالأسم الذى قرأه إيهاب كان أخر اسم يتوقع وجوده في الملف، أغلق إيهاب الملف بعنف ونظر لحسام الذى بَادَلَه النظرات في استغرابٍ ثم استأذنه في الاحتفاظ بالأوراق لحين الانتهاء من القضية.

وافق حسام على وعدٍ من إيهاب أن يعيد الملف فور الانتهاء من التحقيق لأهميته، شكره إيهاب كثيرًا وهرع خارجًا من مكتبه في طريقه لمقابلة طارق الذى اتصل به ليُعلمه أنه حصل على معلومات مهمة من محامي والد منة ووسام، وأنه في

طريقه لمديرية الأمن الآن ليُطلعه عليها وسأله إن تمكن من معرفة الديلر الخاص بنادي Columbus وكان جواب الأخير:

-عرفت ومش هتصدق مين طلع الديلر!!

كانت المفاجأة كالصاعقة التي هبطت على رأس طارق بكل المقاييس.

وصل طارق مكتبه ليُبلغه الساعي بأن فتاةً تدعى وسام توفيق تنتظره في الاستراحة الملحقة بالمكتب منذ ساعة تقريبًا، فهي تريده في أمرٍ هامٍ لم تقمْ بإبلاغه به.

-طيب يا فرج خلّيها في الأوضة شوية ماتجبهاش غير لما أقولك وشوفها عاوزة تشرب إيه؟ قولى إيهاب باشا رجع؟

-آه يا باشا من ربع ساعة كدة.

-طيب هاتلنا اتنين قهوة ومتدخلش علينا أي مخلوق لحد ما أقولك.. مفهموم!!

-حاضر يا باشا!!

دخل طارق مكتبه ليجد إيهاب واقفًا أمام النافذة يتأمل المتحف الإسلامي المقابل للمديرية ولم يشعر بوصول صديقه الذى اقترب منه منبهًا إياه:

-مالك يا ابني؟

-مستغرب!!

-مستغرب من إيه؟

-من الدنيا.

-ليه؟

سأله طارق وهو يضع سترته على الحامل ويجلس على مقعده.

التفت له إيهاب مسترسلاً في حديثه:

-مستغرب من الدنيا اللي بتدي كل حاجة ومبتبخلش بأى حاجة على ناس، ومع ذلك مبيعرفوش قيمتها وبيتبطروا عليها، وناس تانية مابتديهمش أبسط حقوقهم ومع ذلك راضيين وساكتين وقابلين بعيشتهم!

-دنيا.....هى كدة الدنيا يا صاحبى!!

أومأ إيهاب برأسه موافقًا وهو يبتسم في هدوء مُرددًا:

-عندك حق....عندك حق، طيب قولى عرفت إيه من المحامى؟!!

تنهَّد طارق في هدوء مُستعيدًا جديته وهو يستطرد في اهتمام:

-والد منة ووسام قبل ما يموت كتب وصية بتنازله عن كل ما يملكه لبنته منة بيع وشراء كل حاجة...

-معقولة!!! يعني حَرَم وسام من كل شىء!!!

-كل حاجة ماسبش ليها حتى جنيه في البنك!!

-طيب وايه السبب؟!!

-محدش يعرف!!

-طيب ووسام كان رد فعلها إيه لما عرفت حاجة زي كدة؟

-ما هو ده بقى الغريب!!!

-ليه؟

-على حسب اللي قاله ليّ المحامى انها وقت قراءة الوصية وبعد ما سمعت الى جه فيها منطقتش ولا كلمة ولا حتى بان عليها الزعل، كل الى قالته بعد فترة صمت لمدة عشرة دقايق: "الحمدلله على كل شيء"!

نظر إيهاب لصديقه غير مصدق!!!

-بس!!! مزعلتش ولا صوّتت ولا شتمت ولا أي حاجة خالص؟

-ولا الهوا!! هي قالت الكلمتين دول وقامت مشيت.

-ديه قوية قوي.

-وممكن تكون ذكية قوي ومحبتش تعمل حاجة تتمسك عليها بعد كدة.

-يمكن كل شىء جايز الأيام دي!!

زَفَرَ إيهاب في قوةٍ واستطرد قائلاً:

-كدة احنا جمّعنا خيوط كتيرة نبتدى بيها التحقيقات، واللي أعتقد هتوضح لنا صورة كاملة عن حياة منة.

-آه كمان وائل اتصل بيَّا وقالي ان ناهد الخدامة وجوزها حسين يوم الجريمة كانوا في المستشفى عشان بنتهم كانت بتولد وفضلوا في المستشفى لمدة يومين مع بنتهم، قالي كمان انه راح استجوب الممرضات والدكاترة في المستشفى وانهم أكدوا نفس الكلام، كدة يبقى استحالة يكون لهم ضلع في القضية دي، بس أنا بردو قلتله يجيبهم ويجي عشان نستجوبهم يمكن نطلع منهم بمعلومات تانية تفيدنا.

أومأ إيهاب برأسه موافقًا وهو يفكر في القضية التي كلما توغلوا فيها أكثر زاد غموضها، لم يعد يعلم أين طرف الخيط المناسب الذى يجب أن يبدأ به أو يبحث عنه، كل أطراف القضية متداخلة ومتشابكة بشكل غريب وغير مفهوم، فعلى مدار يومين فقط منذ تكليفه بالتحقيق في هذه القضية مع طارق وحتى هذه اللحظة وهو يشعر بالتخبّط والحيرة من هذه القضية المعقّدة:

لماذا تُقتل المجني عليها بهذه الوحشية؟ وكيف قام قاتلها بعمله الوحشيّ دون ترك أثر واحد وراءه؟ وكيف تجتمع كل الظروف والملابسات لصالح القاتل لتحقيق هدفه دون وجود شاهد واحد سمع أو رأى شيئًا يستطيع الإدلاء به؟

غريب!! كل ما يحدث غريب!! لكنه لن يستسلم، فلازال أمامه الكثير وربما عندما تبدأ التحقيقات مع أصدقاء ومعارف القتيلة، تبدأ خيوط القضية في الذوبان.

أكمل طارق حديثه مقاطعًا شرود إيهاب وتفكيره:

-على فكرة!! وسام برة عاوزة تقابلني.

- آه!! ما أنا عارف فرج قالي! بس أنا قلت له يصبر لحد ما تيجي عشان نتكلم الأول.

-تماما أهي وفَّرت علينا المشوار.

قطع حديثهم دخول فرج حاملاً صينية القهوة التي وضعها أمامهم في هدوء، وهنا طالبه طارق بإحضار وسام توفيق فور خروجه من عندهم، أومَأ الرجل برأسه في هدوء وخرج، بعد خمس دقائق أو أقل دخلت وسام مكتب طارق بعد أن استأذنت في الدخول وهي تبتسم في هدوء متوتر ومُريبِك:

-مساء الخير يا طارق باشا.

-مساء النور يا أستاذة وسام.

قام طارق مُرحّبًا بها وطالبها بالجلوس في المقعد المُواجه لمقعد إيهاب الذي نظر إليها من شعرها حتى إخمص قدميها، كانت وسام جميلة على الطبيعة عكس صورها بكثير، كانت ترتدى قميصًا حريريًّا أسود فضفاضًا، وبنطال أسود أبرزا بياض بشرتها وسواد عيونها، وعقصت شعرها الناعم الجميل في شكل كحكة كبيرة أضفت عليها مظهرًا راقيًا بسيطًا بالرغم من مظاهر الإرهاق والتعب الواضحة بشدة على وجهها، إلا أن هذا لم يقلل من جمال مظهرها ورونقها الخاص.

-أستاذة وسام!! أحب اعرفك بالمقدم إيهاب الدمنهوري شريكي في القضية.

-أهلا بحضرتك!

التفتت وسام بنظرها للمقدم إيهاب الذي ظلّ ينظر لها في ثباتٍ عجيبٍ كأنه يحاول اختراقها من الداخل، مما جعل وجه وسام يكتسي باللون الأحمر الناري، وهي تحاول الابتعاد عن نظراته قدر المستطاع؛ فعيونه لم تكن تتفحصها لتكشف سوءً بها، ولكنها كانت تحاول كشف أسرارها الدفينة التي طالما حاولت إخفاءها عن نظرات الناس خاصة الرجال، فجاء هذا الرجل يحاول نبْش أسرارها بقوةٍ جعلتها تُواصل الهروب من عينيه في تحدٍّ، إلا أنها لا تستطيع أن تنكر أن إيهاب كان على قدرٍ كبيرٍ من الجاذبيّة جعلتها تنظر له في الخفاء ودون أن يلاحظ نظراتها المختلسة له، فقد كان ممشوق القوام، متوسط الطول، خمريّ البشرة، ذا شعره أسود مجعد وقسمات وجه حادة لكنها جميلة تحمل لمحة رجوليّة مُحببة للنفس، باختصار كان شديد الجاذبية والوسامة على الأقل بالنسبة لها.

-سيادة المقدم! أنا كنت جايّة أعرف إيه آخر أخبار القضية، أنا بصراحة من ساعة ما حضرتك قلت لي إني المتهمة الرئيسية لحد دلوقتي وأنا بصراحة مرعوبة.

تراجع طارق بظهره للوراء وهو يُشعل سيجارته ويتنفس هواءها في تلذذٍ غريبٍ ويستطرد في هدوء:

-ليه!!

رفعت وسام حاجبها في استغراب!!!

-ليه؟ حضرتك بتتهمني اني قتلت أختي ومش عاوزني أترعب!!!

- أنا ماتهمتكيش!! أنا قلتلك انك المتهمة الرئيسية قدامنا لحد دلوقتي، لكن ده مش معناه أن ديه النهاية، لسة التحقيقات شغالة، أنا أصلا لسة ماحققتش معاكي، اللي حصل في المستشفى كان مجرد استجواب خفيف عشان اعرف ايه اللي حصل، لكن لسة التحقيق معاكي بشكل رسمي مبدأش ولا إيه يا إيهاب باشا.....إيهاب؟

-أيوة (قالها إيهاب ساحبًا نفسه من غيبوبته الطويلة في عيون وسام)

-أيوة إيه؟ خليك معانا!!!

قالها طارق وهو ينظر لإيهاب نظرة لومٍ فهمها الأخير في سرعة واستطرد في هدوءٍ محاولاً السيطرة على الوضع:

-أستاذة وسام! احنا لسة ماحددناش مين المتهم، ده لسة هيبان في التحقيقات، بس كويس ان حضرتك جيتي لأن كل ما بدأنا التحقيقات أسرع كل ما قرّبنا من القاتل وكشفنا الحقيقة.

-أنا تحت أمركم في أي شيء.

-تمام!

قالها إيهاب وهو لازال يحاول سبْر أغوارها؛ كانت جميلة لا تشبه شقيقتها على الإطلاق، فالأخرى كان جمالها صارخ، شعر أشقر، عيون زرقاء، جسد فارع لا تحب تغطيته أبدًا، وهذا كان جليا من صورها المنتشرة في كل ركن فى غرفتها.

لكن وسام كانت النقيض تمامًا؛ عيون سوداء واسعة، شعر أسود جميل بلون الليل، وجه.....يملؤه الألم ويشع منه الحزن، جعل إيهاب يشعر بالشفقة من أجلها.

-أستاذة وسام أنا هكلمك بصراحة.....انتي وضعك حرج جدًا في القضية، أنا عارف ان ملكيش ذنب، بس لازم تساعدينا، لأنك أخت الضحية وكنتي عايشة معاها في بيت واحد، يعني أكتر واحدة تعرفي حاجات كتيرة عنها حتى لو يتهيألك عكس ده.

ارتسمت على ملامح وسام أمارات الحزن الواضح على حواجبها، وفجأة ارتسمت على وجهها ابتسامة ليس لها معنى أو تصنيف؛ هل هي ابتسامة حزنٍ أم سخرية منهم أو من نفسها.....أو من الحياة.

-عارف حضرتك.. أنا تعبت حقيقي تعبت!!

-من إيه؟

أشاحت بوجهها بعيدًا واستطردت في حزنٍ:

-تعبت من الدنيا.....أنا عارفة أن أي كلام هقوله هيكون بالنسبة لحضرتكم كلام مُرسل وملوش معنى عشان ملهوش دليل، بس.....

أنا فعلا مقتلتهاش، مش هنكر اني فعلاً مكنتش بحبها ولا بحب أخلاقها ولا تصرفاتها وده بعيد تماما عن موضوع والدي ووالدتي، لكن منة.....

أذنتني كتير في حياتي بالذات لما رحت عشت معهم، لدرجة اني فكرت جديًا أسيب البيت واسكن لوحدي بس بابا رفض.

-طيب ليه فضلتي عايشة معاها بعد موت أبوكي؟

قالها إيهاب متناولاً دفّة الحديث؛ فحين أخفضت وسام رأسها في صمت لعدة ثوانٍ ثم رفعت عيونها وصوّبتهم تجاهه في جمالٍ يُضاهى جمال القمر ورقة لياليه.

-خوف.....خوف من الوحدة، بعد موت بابا شئنا أم أبينا، مكنش لينا إلا بعض، اتفقنا من غير ما نتفق اننا نفضل عايشين تحت سقفٍ واحدٍ كنوعٍ من الونس، الحس في البيت، بس كل واحد كان في حاله.

أومأ إيهاب برأسه موافقًا في صمت مُتابعًا جمال عيونها الأخّاذ ثم استطرد ونظراتها تجاهه خمرٌ يُسكره ويُفقده الإحساس بما حوله، فالمرأة في حياة إيهاب كائن لم يكن له وجود سابقًا، سوى قصة حب قديمة أيام الكلية، كانت شقيقة صديقٍ له في كلية الشرطة ولكنها كانت حبًا من طرف واحد لم يستطع يومًا البوّح به حتى تخرج من الكلية، يوم التخرج عندما أراد أن يفاتح أخاها في الأمر، وجده يدعوه لحضور خطوبتها فهى أيضًا كانت تنتظر يوم التخرج حتى تستطيع إتمام زاوجها ممن تحب، يومها انتهيت علاقته بالنساء من قبل ما تبدأ، اللهم إلا بعض العلاقات الطائرة والتى لم يكن الحب قائمًا مشتركًا فيها، حتى مرت الأيام وبدأ قطار العمر يعدو سريعًا غير عابئٍ بما يعتمل في قلب إيهاب من وحدة وقسوة وحزن بعدما فقد الأمل في العثور على الحب أو الالتقاء به سواء صدفة أو بالتخطيط حتى جاءت وسام.....

لن يقول أنه أحبها فهو لا يؤمن بالحب من أول نظرة، لكن هذا لا يمنع إعجابه بها المسيطر على كيانه منذ دخولها وجلوسها أمامه، جمالها البسيط المليء بالرقة، نظراتها الحزينة، شيئًا ما في عينيها يجعله ينجذب لها دون أدنى مقاومة، إنها العيون وتأثيرها العميق على النفس البشرية؛ فمن منا يستطيع مقاومة سحر العيون؟!! لا أحد.

-أستاذة وسام!! ممكن تحكيلنا بالتفاصيل المُملة يوم الحادث عملتي إيه من ساعة ما صحيتي لحد ما اكتشفتي الجريمة وأرجوكي ماتنسيش تفصيلة واحدة.

قالها طارق محاولاً استخلاص أي معلومات قد تساعده في حل هذه القضية المرهقة، أومأت وسام رأسها في استسلام متناهي واستطردت في هدوء مسترجعة ذكريات لا تريد ان تتذكرها لكن ما باليد حيلة:

-يوم الحادثة أنا صحيت زي كل يوم الساعة سبعة الصبح، دخلت الحمام اتوضيت وصليت، وبعدين حضرت فطاري ولبست وخرجت من البيت الساعة ثمانية ونص رُوحت الشركة اللي بشتغل فيها وفضلت هناك لحد خمسة ونص وروَّحت في ميعاد المرواح، وصلت البيت حوالى ستة ونص.

-أممم، طيب لما نزلتي الصبح كانت منة لسة في البيت؟

صمتت وسام بعض الوقت ثم هزّت رأسها في حيرة:

-معرفش!! بس هي مبتصحاش بدري في العادة.

-طيب تفتكري كانت في اليوم ده متخانقة مع حد، زعلانة، أي حاجة؟

ابتسمت وسام في خجلٍ من تكرار الإجابة:

-الله أعلم، صدقني أنا حقيقي معرفش أي حاجة عن حياتها الخاصة أو علاقاتها، كل اللي اعرفه قلته ليكم.

أومأ إيهاب برأسه في اقتناع فكل حركات جسدها وانفعالاتها تؤكد صدقها وجهلها الكثير عن شقيقتها القتيلة الغامضة.

-أستاذة وسام!! حضرتك رُحتي تعيشي مع والدك من امتى؟

-من خمس سنين تقريبًا.

-تمام.....طيب طول الفترة ديه معرفتيش أي تفاصيل حتى ولو بسيطة عن حياة أختك منة؟

صمتت وسام قليلاً محاولة التذكر:

-أنا الى اعرفه عنها انها كانت بتحب واحد اسمه تامر واتخطبت له فترة طويلة وسابوا بعض من سنتين بعد موت مامتها بكام شهر.

-ليه؟!!

-معرفش!!

-طيب مامتها ماتت من إيه؟ موتة طبيعية ولا حادثة؟

-حادثة، كانت سايقة عربيتها على سرعة ٢٠٠ حاجة زي كدة، العربية اختل توازنها واتقلبت بيها على الدائري، ده الي البوليس قالوا لبابا الله يرحمه.

-أمممممم.... طيب ووالد حضرتك مات من امتى؟

-بابا مات من سنة وكام شهر، كان عنده سرطان بس اكتشفناه متأخر، كان في المرحلة الرابعة وملحقناهوش للأسف الله يرحمه.

-الله يرحمه أنا آسف!!

قالها إيهاب برقةٍ وحزنٍ موجهًا حديثه لوسام التي شعرت بالخجل واحمر وجهها وتمتمت بصوت خافض:

-ولا يهمك!!

تنحنح طارق قاطعًا وصلة الرقة المتدفقة بين الاثنين وهو ينظر لإيهاب نظرة ذات مغزى واستطرد في حزم:

-أستاذة وسام!! تفسري بإيه وصية والدك الله يرحمه بأنه كتب كل شيء باسم منة بيع وشراء وحرمك انتي من كل حاجة؟

صمتت وسام بضع ثوانٍ ثم استطردت في هدوء:

-معنديش تفسير!!

-يعنى مزعلتيش؟

-مش هكدب واقول مزعلتش!! بس دي فلوسه وهو حر فيها يقسّمها زي ما يحب.

-أيوة!! بس ده حرمك من كل شيء وفى نفس الوقت ادّى كل شيء لأختك؟ يا ترى عمل كدة ليه؟

-معنديش فكرة!!

-طيب يا ترى كان إيه موقفك من أختك؟

-عادى..

-ازاي عادي؟ أنا لو أبويا كتب لأخويا كل ما يملكه وحرمني أنا من كل شيء هكرهه، وأكره اليوم الى جه فيه، إيه مكرهتيش أختك؟!!

-لأ.

-ليه؟!!

انفعلت وسام من كثرة الضغط عليها بالأسئلة خاصة أسئلة طارق الذي ظلَّ يعيدها ويكررها بأسلوب مختلف حتى فقدت أعصابها ودون وعيٍ منها أجابت:

-عشان أنا بكرهها من قبل الوصية بكتير.

صمتٌ ثقيلٌ هبط على جميع من بالغرفة بعد تصريح وسام القاتل جعل شك طارق يصبح يقينًا، حاول إيهاب كشف وسام أكثر وأكثر وعيونه تصر على محاصرتها في كل حركة أو لفته صغيرة منها فحين جلست هى تتصبّب عرقًا بعد ذلّة لسانها، والتى من المؤكد لن تمر مرور الكرام على مَسَامع المقدم طارق،

قطع الصمت صوت طارق وهو يعاود سؤال وسام في هدوء كأن شيئًا لم يحدث:

-أستاذة وسام انتي قلتي في التحقيق الأولاني انك اكتشفتي الجريمة لما خرجتي من أوضتك عشان تحضّري العشا مظبوط؟

-أيوة.

قالتها وسام بصوتٍ خفيضٍ وهى تحاول إخفاء رعشة يديها وجسدها التى بدت ملحوظة جدًا أمامهم.

-ولما رجعتي من الشغل كان باب أوضة منة مفتوح ولا مقفول؟

-مقفول.

رفع طارق نظره عن الأوراق التى أمامه مُبتسمًا بخبثٍ شديدٍ وهو يستطرد في هدوءٍ بعدما أوقع فريسته وأحكم قبضته عليها:

-مقفول أزاي!! وانتي قلتي انك لما خرجتي من أوضتك تحضري عشاكي كان الباب مردود وده اللي جذب انتباهك وخلاكي تقربي من الأوضة وبالتالي اكتشفتى الجريمة؟ ما هو يا الباب كان مردود ساعة مروحتي وبالتالي كان المفروض تكتشفي الجريمة في ساعتها يا اما الجريمة حصلت وانتي موجودة في البيت ومعتقدتش جريمة بالبشاعة دي حتحصل من غير صوت ولا انتى رأيك إيه؟

-هاه!!

-أستاذة وسام!! أعتقد مفيش داعى للإنكار أكتر من كدة صدقيني ده مش في مصلحتك.

انفجرت وسام في البكاء وكل خليةٍ في جسدها ترتعد من الغضب والخوف على

نفسها:

-انت ليه مُصمم ان أنا اللي قتلتها؟!! أيوة أنا مكنتش بحبها لكن مقتلتهاش والله العظيم مقتلتهاش..

-أمال تفسرى بإيه ان مفيش اقتحام ولا كسر في باب الفيلا؟ تفسرى بإيه تضارب أقوالك بين التحقيق الأولاني والتحقيق ده؟ في التحقيق الأولاني قلتي أنك عدّيتي جنب أوضتها ولاحظتي بابها المردود عديتي ازاى وانتي أوضتك بعد أوضتها جنب السلالم؟ وازاي بابها كان مقفول ولما خرجتي الساعة تسعة من أوضتك لاقيتيه مفتوح؟ وبعدين الجريمة حصلت ما بين ستة وتسعة بالليل وانتى رجعتي ستة ونص البيت ومخرجتيش بعد كدة ومش معقول قاتل هيقتل ضحيته ويقطّع جسمها ويصفّيها من الدم في نص ساعة، ليه طرازن؟ ده غير طبعًا اعترافك دلوقتي انك بتكرهيها كل ده تفسّريه بإيه؟

-والله العظيم مقتلتهاش... والله ما قتلتها.

أنهارت وسام باكية فى حرقة جعلت كلا من طارق وإيهاب يصمتون تماما ناظرين لبعضهم بعضا، صحيح الأدلة كلها ضدها لكن شيئا ما فى شكلها جعلهم بالرغم من كل شىء يشعرون ببرائتها، لكن أمام القانون لا يوجد شعور أو أحاسيس، فهذه كلمات ليست موجودة فى القاموس القانونى أو القضاء، فقط الأدلة والبراهين هم سادة الحكم.

الفصل الثامن

أستدعى طارق العسكرى القائم على باب مكتبه ليأخذ وسام غرفة الأستراحة لتهدأ من حالة الأنهيار التى أصابتها حتى يستطيع أستكمال التحقيق معها تمهيدا لتحويلها للنيابة التى ستتولى التحقيق معها من جانبها، فمهمته كضابط شرطة هو ضبط الجانى وهو ما قام به على أكمل وجه غير ذلك فهى مهمة النيابة لا شأن له بها.

-إيه سكت كدة ليه؟ القضية خلصت والحمدلله ومسكنا القاتل مالك بقى ساكت ليه؟

نظر له إيهاب نظرةً قويةً مليئةً بالشك واللوم، فهو في قرارة نفسه واثق أن طارق نفسه لا يصدق أن وسام هي القاتلة:

-انت حاسس انك كدة عملت اللي عليك وأنها فعلاً قتلت أختها؟

-هى مش اعترفت قدامك انها بتكره أختها؟ ده غير تضارب أقوالها؟ هو أنا جبت حاجة من عندي؟

-كُرهها لأختها مش معناه انها قتلتها، ياما فيه اخوات بيبقوا بيكرهُوا بعض ومبيطيقوش بعض، بس الموضوع مش بيوصل للقتل، أما جزئية تضارب الأقوال دي فهي في حاجة مخبياها... بس مش هي اللي قتلت.

-وانت إيه اللي أكد لك انها مش هي القاتلة؟ هو انت معجب بيها ولا إيه؟

-طارق!! أنا مبهزرش!!

-ولا أنا!! أنا مش فاهمك على فكرة، يعنى القضية اتحلت، والتحقيق أثبت ان هي اللي قتلت، انت بقى عاوز تطلعها براءة وخلاص ليه؟

-تحقيق إيه!!؟ هو فين التحقيق ده!!؟ أنت حققت مع خطيب القتيلة!!؟ حققت مع صاحبتها!!؟ حققت في النادي اللي كانت بتسهر فيه كل يوم؟ حققت مع زمايلها في الشغل؟ حققت مع الخدامة وجوزها؟ في إيه يا طارق انت هتستهبل؟

-وأحقّق مع كل دول ليه وهى القضية مُنتهية أساسًا... هو تضييع وقت وخلاص؟

-مُنتهية فين؟ انت عاوز تقنعني أن اللي كانت قاعدة قدامنا دي تقدر تقتل فرخة.. فمابلك باختها اللي أطول وأعرض منها مرتين؛ تقتلها وتقطّعها بالشكل ده؟ انت اتهبلت يا طارق؟ وهنفترض جدلاً أنها هي اللي قتلتها ما كان أسهل لها تأجر اتنين بلطجية يطلعوا على أختها على الدائري يثبّتوها ويقتلوها ويسرقوا عربيتها وتبقى حادثة قضاء وقدر وساعتها كانت هتتلزق في الانفلات الأمني، ومحدش كان هيجرؤ يتّهمها بشيء واحنا أولهم.

-فين الأنفلات الأمنى ده؟!!

نظر له إيهاب نظرةً ناريّة مستكملاً هجومه الطاغي:

-نعم يا خويا؟!! أحنا هنعملهم على بعض يا طارق؟!! ده احنا مش قادرين نحمي نفسنا، ولادنا بيتخطفوا وعربياتنا بتتسرق ومبنقدرش نعمل حاجة، ده محمود زميلنا لسة عربيته مسروقة من كام شهر قدام بيته وبخ، معرفش يرجّعها لحد دلوقتي ولا يوصل للي سرقها، أنت عبيط؟ وبعدين دول بنتين مقطوعين من شجرة؛ لا أب ولا أم ولا حتى قرايب أو معارف، والمجني عليها كانت عايشة حياتها بالطول وبالعرض وبترجع متأخر يعني طبيعي جدا حد يثبّتها على الدائري، أو أي شارع ضلمة وتبقى حادثة سرقة وقضاء وقدر، وساعتها تبعد عنها الشكوك وتورِثها على طبق من دهب.

زَفَرَ طارق في قوةٍ وحنقٍ فهو يعلم في قرارة نفسه أن إيهاب لديه كل الحق فيما يقوله، فهو داخليًا كان يتمنى أن تكون شقيقة المجني عليها هي القاتلة حتى تنتهي التحقيقات وتغلق القضية ويرتاح من ضغط المسئولين عليه، أو ربما ليرتاح من ضغط العمل برُمته، فمنذ طلاقه من زوجته وحرمانه منها ومن ابنته وأصبح العمل يمثل ضغطًا كبيرًا عليه وعلى أعصابه، فهو يفتقدهم بشدة، وبصفة خاصة أرّوى زوجته التى أحبها منذ أن كان في كلية الشرطة، لم يحب غيرها ولم ترى عيونه امرأة غيرها، كانت ولازالت بالنسبة له هي المرأة الوحيدة التى تستحق أن تحمل اسمه وتكون شريكة حياته، كم يفتقدها ويفتقد لمساتها، يفتقد عيونها ونظراتها الرقيقة، همساتها في أذنه بكلمة أحبك.

آآه لو تعلم لوّعة فراقها وقسوته عليه لربما لانَ قلبها قليلا وسامحته ووافقت أن

تعود له، إنه يتألم عامًا كاملاً في بُعدها، يشعر بالضيق والضجر، لم يعد يهتم بشيء؛ لا صحته ولا حياته ولا حتى عمله، ها هو يريد إنهاء قضية هامة بأى شكل حتى ينتهي من الضغط عليه، ماذا حدث له؟ فهو لم يعد يعرف نفسه ولا يعرف لمن يحيا وهى بعيدةٌ عنه.

اقترب منه إيهاب الذي يشعر بما يعتمل في صدر صديقه من ضيق وحزن، فهو يشعر بألمه ويأسه من العمل والحياة بعد انفصاله عن حب عمره أرْوى..

-مالك يا طارق؟ فيك إيه؟!!

-تعبان يا إيهاب!! تعبان وزهقان وطهقان من الدنيا كلها..

ربت إيهاب على ذراع صديقه في هدوء واستطرد في خفوت:

-معلش يا طارق ما انا قلتلك مليون مرة ... رُوح صالح مراتك انت الى منشف دماغك.

-أنا مش منشف دماغي ولا حاجة بس.....

-بس إيه يا طارق؟ يا طارق هو العمر فيه كام سنة هتفضل تضيعهم في عنادك ده؟ تقدر تقولي عندك كام سنة؟ وهتعيش كام سنة كمان؟ يا ابني روح صالح مراتك ورجع بنتك خلى حالك يتصلح.

كظم طارق غيظه بداخله وهو يشعر بغليان داخل صدره، للمرة الثانية يثبت في قرارة نفسه أن صديقه يقول ما يشعر به حقًا، هل هو لهذه الدرجة عنيد؟ ألهذه

الدرجة يستمتع بتعذيب نفسه وتعذيب الأخرين معه؟ تنهَّد في صبرٍ واستطرد في حزمٍ هادئٍ:

-انت عندك حق يا إيهاب عندك حق.

-عندى حق في إيه؟!! في موضوع مراتك ولا موضوع القضية؟

-موضوع القضية!!، احنا لازم فعلا نكمل التحقيقات للآخر.

أومَأ إيهاب برأسه موافقًا مقدرًا مشاعر صديقه وأعصابه المضطربة ومحترمًا رغبته في إنهاء الحديث عن مشاكله الزّوجية.

-انت هتعمل إيه دلوقتي؟

قالها طارق مُوجهًا حديثَه لإيهاب الذى قام من مكانه استعدادًا لمغادرة الغرفة:

-أنا محتاج أتكلم مع وسام، محتاج أعرف هي ليه كدبت؟ وسام هي الوحيدة اللي هتقدر تعرفنا على الأقل منة كانت تعرف مين...

-ماشى يا روميو، بس عشان نكون متفقين قدامك أسبوع تطلع فيه المجرم وتخلصنا من الحوار ده، يا كدة يا اما هكتب تقريري وأحيلها للنيابة هي تحقق براحتها ماشي؟

-ماشي يا سيدي أنا مش عاوز أكتر من كدة.

قالها إيهاب مغادرا الغرفة تاركًا صديقه يُقاسي ليال وحدته وحده، متجهًا للغرفة الجانبية التى تجلس فيها وسام وعقله يلحّ عليه بسؤال واحد: تُرى لماذا

كذبت وسام؟ لماذا؟

دخل إيهاب الاستراحة المجاورة لمكتب طارق ليجد وسام لازالت تبكي في حالة انهيار ولو أنها أقل حدة من الأول، جذب مقعدًا وجلس أمامها وبصوتٍ هادئٍ بدأ حديثه:

-أستاذة وسام!! أنا عارف انك تعبانة ومنهارة بس احنا لازم نتكلم لأن الوقت مش في صالحنا.

-أنا مقتلتهاش.

قالتها وسام وهى تجاهد لتخرج هذه الكلمات من شفتيها، فآلام قلبها وأوجاعها تمنعها من التفكير أو حتى محاولة الحديث.

-أنا مصدقك!! بس لازم تثبتيلي ده، لازم تساعديني عشان اقدر أساعدك.

قالها إيهاب في هدوءٍ وسرعةٍ جعلت عيون وسام تتعلق به في لهفة فربما يكون هو باب النجاة من تلك الكارثة التى حلّت فوق رأسها دون سابق إنذار.

-يعني حضرتك مصدقني؟

لم يجبْها بل أخرج من جيب سترته منديلاً أعطاها إياه لتجفف دموعها، واستطرد في هدوء ناظرًا لعينيها في قوة ضاغطًا على كل حرف يخرج من بين شفتيه:

-أستاذة وسام!!! أنا حاسس انك بريئة مقدرش أقول أني متأكد، لكن حاسس،

بس النيابة والمحكمة مش هياخدوا بأحساسي لو مش معايا أدلة تثبت برائتك بجد، أدلة مادية وقرائن دامغة، غير كدة هيبقى زي قلّته، ساعديني عشان أقدر أساعدك...

-أزاى أقدر أساعدك؟!!

قالتها وسام في لهفةٍ وهى تجفف دموعها.

-أنك تقوليلي على كل حاجة؛ بالذات إيه الى حصل يوم الحادثة؟ وليه كدبتي في التحقيق الأولاني؟ كل حاجة بصراحة، متخبيش عني أي حاجة مهما كانت صغيرة أو تافهة.

أومأت وسام برأسها في استسلام تام، وهى تُتمتِم بصوتٍ خفيتٍ:

-أنا هحكي لحضرتك على كل حاجة.

-وأنا سامعك... اتفضلي.

بدأت وسام في سرد روايتها كاملة مُجيبة على كل تساؤلات إيهاب التى انهمرت عليها انهمار المطر في أشد ليالى الشتاء الباردة، وهو جالس أمامها يُنصت لكل ما تقوله في اهتمام شديد..

في نفس الوقت في مكان آخر بعيدًا عنهم، يجلس شخصٌ ما لا نستطيع قراءة ملامحه ولا تحديد جنسه، يتشحث بالسواد، في غرفة مظلمة لا يدخلها نور الشمس ولا القمر، يجلس أمام صورةٍ، يحاول تذكر ذكرياته مع صاحبتها، كم

كان يُحبها، كم كان يعشقُ ابتسامتها البريئة وهى تنظر له وتناديه ليلعب معها ويقوم بتدليلها في حضور والدها ووالدتها وصوت ابتسامتهما يشق عنان السماء، أمسك الصورة وقرّبها من شفتيه يُقبلها في حبٍّ مكسورٍ حزينٍ ثم يتركها على المنضدة أمامه ويلتفت إلى الحائط المليء بصور فتاة شقراء في أوضاع مختلفة، فيختار صورة منهم وبأقصى قوة لديه يرمي سكينا مدببًا كالسهم فيشق هواء الغرفة مستقرًا في رقبتها، فتاة تضحك بملء فِيها؛ كانت في يوم من الأيام تنفجر منها الحياة والحيوية قبل أن تصبح جثة هامدة مقرها المشرحة مربوط بقدمها ورقة صغيرة تحتوى رقم القضية واسم الضحية.....منة توفيق.

الفصل التاسع

كانت تجلس فى غرفتها تتحدث فى هاتفها المحمول بصوت مرتفع غاضب جذب أنتباه وسام وجعلها بالرغم منها تنصت للحديث الدائر بينها وبين من تحدثه عبر الهاتف.

-أنت عاوز منى إيه؟.....أنا أديتك حقك وبزيادة.....لأ.....لأ يعنى لأ.....أنت واضح أنك طمعت، أنت مش عارف أنا مين وأقدر أعمل فيك إيه؟.....أسمع حوار الوصية ده أحنا خلصنا منه وأنت خدت حقك تالت ومتلت يعنى خلاص لغاية كدة ومتنساش نفسك عشان أنت متعرفش أنا أقدر أعمل إيه؟ أحنا الأتنين دبرنا الحوار سوا يعنى متقدرش تهددنى لأنك أول واحد هتروح في داهية معايا، ووسام الى أنت بتهددنى بيها ديه نملة أقدر أدوس عليها في أي وقت.

كانت هذه الكلمات المنفعلة والغاضبة التى تصيح بها منة في عنفٍ هو ما أثار حفيظة وسام التي لم تستطع تمالك نفسها وأقتحمت الغرفة ووقفت تنظر لمنة بتحفز وهى تنتفض من الغضب والانفعال، أفلتت منة الهاتف من بين يدها

ووقفت تنظر لوسام بعيون متوجسة وبنظرة خائفة لم تدُم أكثر من عدة ثوانٍ لتعود بعد ذلك لنظراتها الساخرة المُهينة لوسام التى لم تكن تبارح وجهها قط حتى عندما كان والدهما حيا يرزق:

-إيه مالك!!! واقفة كدة ليه؟

قالتها منة وهى تصيح في وسام بصوتٍ غاضبٍ هادرٍ كما لو كانت وسام هي المخطئة.

-كنت بتتكلمي مع مين يا منة؟ وحوار إيه الى ظبطّوه مع بعض وبيهددك انه هيفضحه ليا؟

-وأنتي مالك!! ده موضوع ميخصكيش.

-عارفة يا منة .....والله العظيم لو الموضوع طلع اللي في بالي؛ حقيقي مش عارفة أنا ممكن أعمل فيكي إيه؟

-انتي بتهددينى؟ أنتي نسيتي نفسك ولا إيه؟ مبقاش غيرك انتي اللي يهددني، ده أنا مقعداكي شفقة معايا؛ بس أنا اللي غلطانة! كان المفروض أرميكي رمية الكلاب أول ما بابا مات.

-ده بيت أبويا!!

-لا يا حبيبتى! ده بيتي أنا؛ بالمستندات والأوراق القانونية انتي ملكيش أي حاجة هنا، انتي مجرد كلبة معيّشاكي معايا تونسيني مش أكتر من كدة.

انهارت أعصاب وسام تمامًا وانفجرت الدماء منطلقةً مثل الصاروخ في عقلها، دَنّت منها والنار مستعرةً بداخلها، وبكل قوتها صفعتها على وجهها صفعة قوية أفقدتها توازنها وأسقطتها أرضًا، تصرخ في فحيحٍ شيطاني كالأفاعي، لم تنتظر وسام لتسمع شيئًا أخر منها والتفتت راحلة بعيدًا عنها تاركة المكان كله كي لا تتنفس هواءها المسموم.

-وبعدين؟

-خرجّت من الفيلا زي المجنونة، فضلت ماشية في الشوارع أعيط من حزنى على نفسي وعلى اللي وصلت له لحد ما تعبت، ورُحت قعدت على كورنيش النيل.

-الكلام ده كان الساعة كام بالظبط؟!!

-أنا روُحت الساعة ستة وخرجت من البيت ستة ونص ورجعت تاني الساعة تسعة كانت .....اتقتلت.

-طيب ليه مقولتيش كدة في التحقيق الأولاني!!؟

نظرت وسام في عيني إيهاب مباشرة واستطردت في توترٍ وألمٍ:

-عشان خُفت، خُفت تشكوا فيّ لما تعرفوا اني اتخانقت معاها وضربتها بالقلم، أنا بكرهها آه، اتمنيت انها تموت آه، بس قتلتها لأ، ومحدش كان هيصدقنى مهما أقول وأحلف، أنا قلت أكدب يمكن من التحقيقات تعرفوا القاتل، مكنتش أعرف انها لابساني لابساني.

-اهدي يا وسام التحقيقات لسة شغالة!! ومفيش حد متهم، ومتخافيش من كلام طارق لو كان متأكد انك القاتلة مكنش الحوار ده هيدور بينا، أنا عاوز أعرف انتي معرفتيش مين اللي كانت بتكلمه؟

تنهدت وسام في صبرٍ واستطردت في إرهاقٍ واضح:

-لأ!! بس أعتقد أنه محامي بابا!!

-ليه بتقولي كدة؟!!

-يعني عشان جابت سيرة الوصيّة واللي كان بيكلّمها كان بيقولّها انه هيفضح كل حاجة قدامي.

-اممم! تمام.....طيب في حاجة تاني عاوزة تقوليها؟

هزّت وسام رأسها نافية:

-لأ .....بس ممكن أسألك سؤال؟

-أتفضلي

نظرت له وسام باستحياء وهي تتحاشى النظر لعينيه التي لم تتركها لحالها منذ أن وقعت عليها:

-هو انت ليه بتساعدني؟!!

ابتسم إيهاب في رقة كاشفًا عن جمال ابتسامة نادرًا ما ترتسم على وجهه:

-إحساسي بيقولي انك بريئة، ثانيًا فيه وسائل تانية أسهل بكتير كان ممكن تؤديها بيها، ثالثًا بقى وده الأهم أنا آسف في اللي هاقوله، بس انتي قليّلة قوي جسديًا انك تقتلي أختك اللي قدك مرتين طول وعرض!!

-طيب ما يمكن أجرت بلطجية؟

-صح! ممكن بس مفيش بلطجي مهما كان محترف مش هيسيب وراه أثر ولو صغير نجيبه بيه إلا بقى لو استعنتي بقاتل محترف، وده تسعيرته بتبتدي من تلاتين أو أربعين ألف، وأنتي، وعلى حسب تحرياتنا أنا آسف بردو، معندكيش المبلغ ده.

أومأت وسام برأسها في صمتٍ وهي تتمتم في خُفوت والحسرة تملأ صوتها المكسور:

-عندك حق.....عندك حق!! أنا فعلاً معنديش حاجة؛ مش بس معنديش فلوس أنا معنديش أي حاجة.

اقترب إيهاب منها وثبّت نظراته القوية في عينيها واستطرد برقة يشوبها الحزم:

-انتي عندك حاجات كتير بس مش عارفة قيمة نفسك، سيبي الوقت يعرّفك قيمتك الحقيقية.

ابتلعت وسام ريقها بصعوبة وجمال صوته يرنّ في أذنيها جعلا قلبها يقفز داخل صدرها في قوة، هل عيونه لازالت تحاول اختراقها أم أنها تتخيل ذلك؟ لماذا تشعر بالأمان في حديثه وهي التي لم تشعر بالأمان قط منذ أن فقدت والدتها،

ماذا يحدث لها؟ ماذا تريد مني أيها المقدم؟ أنا لا أستطيع احتمال جرح جديد، يكفيني ما بي من جروح، تنهّدت وسام في صمتٍ وهى تدعو الله أن ينجيها مما تمر به من أزمات سواء أزمة القضية أو أزمة عيون المقدم إيهاب.

أشاحت وسام نظرها بعيدًا عنه واستطردت دون أن تنظر له:

-أنا أقدر أروَّح؟

أفاق إيهاب من غيبوبته التي كان جمال عينيها الحزينة سببًا فيها، وأجاب بعد فترة حاول فيها تمالك نفسه بصعوبة:

-طبعًا.....بس ادِيني رقمك لإني هحتاجك في التحقيقات.

-حاضر ممكن ورقة وقلم؟

أعطاها إيهاب ورقة وقلم لتكتب رقم هاتفها، وظل يرمُقها في اهتمامٍ بالغٍ، شيء ما بعيونها يجذبه بشدة إليها، يجعله لا يريد الافتراق عنها، ربما رقتها الزائدة، أو ضعفها الذى يراه منتهى القوة، أو ربما احساسه القوي أنها عانت كثيرًا في حياتها مثلما ذاق هو من كأس الوحدة والألم، إنه يشعر إنها تُكمله بشكل أو بآخر، إنها المرة الأولى التى يشعر بنفسه ينغمس مع امرأة بكل جوارحه.

ما هذا؟!! انه انجذاب قوى كالمغناطيس يجعله يؤكد لنفسه أن وسام سيكون لها في حياته ملاحم، لقد حاول بكل الطرق أسْر عيونها في محراب نظراته لكنها ظلت تتحاشاه في مقاومةٍ قويّة لم تعرف وسام من أين اكتسبتها.

دوّنت الرقم وأعطته الورقة ونهضت استعدادًا للرحيل، مدّت يديها في خجلٍ

تسلم عليه وكما توقعت استقرت يدها في راحة يده لا تريد الرحيل، سَرَت رعشةٌ خفيفةٌ في جسدها وجدت نفسها بالرغم من محاولاتها العديدة للمقاومة تستسلم تحت طغيان عيونه، كان السلام حارًّا والفراق صعبًا.

تُرى هل هذا هو الحب؟ أم هو الاحتياج لشخصٍ يشعر بعذاب وحدتها ورغبتها في الشعور بأنوثتها، يجعلها ترتمي في أحضانه لتشعر بالأمان والدفء، فهو أول من ضمّد جراحها بكلامه الطيب ونظراته الرقيقة وهمساته التى تجعلها تشعر بآدميتها وأهميتها في الحياة، نعم أنها تحتاج لرجلٍ يشعر بها، رجل يحبها بصدق، رجل لا يتخلى عنها من أجل أخرى، رجل تكون له كل شيءٍ في الحياة ويكون هو سلْوانها ومعبدها.

تُرى هل أنت هذا الرجل أيها المقدم؟ هل ما فهمَتْه من عيونك صحيحًا؟ أم أنها صارت تتوهم الحب وتتخيله؟ صارت تتعلق بأي إنسانٍ يعاملها برقي في زمن قلّت فيه المعاملة الراقية والكلمة الطيبة، كم تشعر بالشفقة على حالها وما وصلت له، إنها ليست ضعيفة أو مكسورة الجناح كما يتخيلها الآخرون وخاصة أهلها، لكنها فقط امرأة تريد الاستقرار والحب أو حتى الرحيل بعيدًا عن المشاكل والأزمات التى لا تنتهي في حياتها ولا تُعطيها الفرصة لالتقاط أنفاسها والتفكير جديًا في حياتها التى صارت خِرقة مغموسة في بنزينٍ تنتظر من يشعلها لتحترق كليةً.

أخفضت وسام رأسها بعدما قررت أن تدع كل شيء لوقته فالأيام وحدها هي القادرة على كشف نوايا القلوب.

الفصل العاشر

جلست تنتظر دورَها في قلقٍ وتوترٍ سيطرًا على كل خليةٍ في جسدها، تُرى ماذا يريدون منها؟ ألم يأخذ النقيب وائل أقوالها سابقًا عقب اكتشاف الجريمة مباشرة؟ لماذا إذًا تم استدعاؤها اليوم رسميًا للتحقيق؟ إنها لا تعرف شيئًا، وليس لديها أي معلوماتٍ تُدلى بها، تُرى هل عرفوا الجاني أم مازال البحث جاريًا؟

أسئلة كثيرة ظلت تدور في عقل أماني وهى جالسة في الاستراحة المجاورة لمكتب طارق تنتظر موعد التحقيق معها كأنها تنتظر يوم القيامة وحسابها العسير، ذلك بعد الاستدعاء الذي وصلها صباح اليوم للحضور لمديرية الأمن لبدء التحقيق معها رسميًا في قضية مقتل منة توفيق.

منة توفيق.....ماذا تقول عن منة توفيق؟

صديقتها الوحيدة التي دخلت حياتها، وعاثت فيها فسادًا كما تُحب وتهوى، فقد حوّلتها من فتاة جميلة مرحةٍ تحب الحياة إلى فتاةٍ تابعة لها، تُنفذ أوامرها في

طاعةٍ عمياء اتقاءً لشرها وغضبها الذى لم يكن له حدود أو نهاية.

ماذا يريدون؟ هل تروي لهم عن سبع سنين صداقة تبدو علاقة طبيعية أمام الأغراب وهي في الحقيقة علاقة شاذة لا تمت للصداقة أو الأخوة بصلة، علاقة عبد بسيّده الظالم أسود القلب الذى يسعى لتدمير كل من حوله وإيقاعهم في براثن شروره، والذي للأسف يجب إطاعته في كل الأمور حتى ولو كانت محرمة ومتهورة في الكثير من الأوقات، إلا أنه وجب تنفيذها في صمت تام وإلا تعرض لبطشه وطغيانه.

هذه هي منة؛ إنسانة مريضة قاسية سببت لى ولكل من حولها الألم والأذى، ماذا تريدون أن تعرفوا؟ هل تريدون الحقيقة؟ الحقيقة التى حاولت إخفاءها سنين طويلة، الحقيقة أننى أمقتها بشدة، وأمقت كل شيء فيها، رائحتها، شكلها، عينيها، ضحكتها المزيفة، سواد قلبها، كل شيء ....كل شيء، ولن أكذب عليكم لقد فرحت أيّما فرح بخبر مقتلها... نعم فرحت بموتها، فمع موتها أتت حريتي؛ حريتي التى حاولت سنين طويلة الحصول عليها دون جدوى.

قطع حبل أفكارها دخول الساعي الغرفة ليُعلمها أن المقدم طارق والمقدم إيهاب في انتظارها في المكتب، قامت أماني والبرودة تسري في أوصالها، ترتعد فرائصها من الخوف والتوتر، ذاك التوتر الذي حاولت إخفاءه بشتى الطرق.

كانت أماني فتاة جميلة متوسطة الطول، شعرها بني قصير، بشرتها بيضاء ناعمة بها بعض النمش الذى أعطاها جمالاً مُميزًا، ممتلئة الجسد قليلاً، ترتدى

بنطالاً من الجينز الأزرق وقميصًا أسود اللون وتضع فوق عينيها نظارة سوداء كبيرة حاولت إخفاء الحقيقة الجلية في عينيها وراء عدساتها السوداء.

استقبلها طارق مبتسمًا ودعاها للجلوس، وبدأ في فتح التحقيق، وإيهاب كعادته جالسًا في المقعد أمامها يفحص حركاتها وتوتّرها الذي كان واضحًا وضوح الشمس.

-اسمك وسنك وعنوانك وعملك!!

-اسمي أماني عبد الرحيم، عندي ٢٥ سنة، وساكنة في ١٤ شارع عثمان بن عفان الرحاب، وبشتغل في قسم الدعاية والإعلان في شركة في مصر الجديدة

قالتها أماني وهو تحاول استجماع قوتها والتماسك أمام رجلين تعلم تمام العلم أنهما يراقبان حركة كل خلية في جسدها:

-إيه علاقتك بالمجني عليها منة توفيق؟

-صاحبتى وزميلتى في الشغل.

-تعرفي إيه عن اللي حصل يوم الجريمة؟

-ولا حاجة!!

اقترب إيهاب بوجهه من أماني التي زادت رعشة جسدها بشكلٍ واضح واستطرد في هدوءٍ:

-يعنى إيه ولا حاجة؟ متعرفيش صاحبتك حصل لها إيه فى اليوم ده؟

-لأ عارفة بس .....

-بس إيه؟

-مممعرفش تفاصيل يعني.

-أمممممم!!

ابتسم إيهاب في هدوء وهو ينظر لطارق والأخير يستطرد في ثقة من وجد خيطًا جديدًا

-كنتى فين يوم الجريمة يا أماني؟

-ما أنا قلت للنقيب وائل قبل كدة.

-معلش قولي تاني علشان أنا مكنتش موجود ساعتها.

قالها إيهاب مثبتًا نظره عليها محاولاً اختراق دفاعاتها.

-وبعد إذنك ممكن تقلعي نضارة الشمس أحب أشوف وشك.

خلعت أماني النظارة بأيدٍ مرتعشة مهزوزة جعلت كلا من إيهاب وطارق يقتنعان تمام الاقتناع أن وراءها سر تحاول إخفاءه بكل الطرق.

-ها يا أماني كنتى فين يوم وقوع الجريمة؟

-كنت في الشغل.

-وبعدين؟

-روَّحت البيت .

-روَّحتي الساعة كام؟

-سبعة.

-ومخرجتيش تانى؟

-لأ!!

-أمممم.....بس التحريات بتقول أن البوّاب والجيران في العمارة اللي انتي ساكنة فيها قالوا انك رجعتي البيت الساعة تسعة مش سبعة، وانك اتخانقتى مع جار ليكي عشان كان راكن عربيته مكانك، وقالوا كمان انك كنتي متوترة ومنفعلة وهما مش متعودين عليكي كدة صح ولا لأ؟

-أيوة .....حصل!!

-طيب ليه بتقولي انك روَّحتي سبعة مش تسعة؟

-مش فاكرة الوقت بالظبط! بس هو كان تقريبًا بين سبعة وتسعة.

بدأ العرق ينضحُ على جبين أمانى، وبدأت موجات من الرعشات تسري في أوّصال جسدها، وهي تفكر هل يا تُرى اكتشفوا كذبتها، أم هي فقط مسألة وقت قبل أن ينهالوا عليها باتهاماتهم التي لن تنتهي ولن ترحمها.

-أماني! ياترى حصل بينك وبين المجني عليها اتصال يوم الجريمة؟

-أيوة .

-امتى؟!!

-على مدار اليوم احنا دايمًا كنا بنتكلم، بس هي اليوم ده مقدرتش تيجي الشغل عشان كانت تعبانة، ففضلنا نتكلم بالتليفون على مدار اليوم.

-كام مرة تقريبًا؟

-حوالي أربع أو خمس مرات.

-امتى كانت آخر مرة كلمتك فيها؟

-الساعة سبعة إلا ربع تقريبًا.

دَنَا إيهاب منها قليلاً مثبتًا عينيه في عينيها في ثباتٍ، واستطرد في حماس:

-انتي متأكدة انها كلمتك الساعة سبعة إلا ربع؟

-أيوة..... متأكدة!!

-طيب كانت عاوزة منك إيه؟

-كانت عاوزاني أروح لها عشان اتخانقت مع أختها الكبيرة، ومش عارفة حصل بينهم إيه؟ فكانت عاوزاني أروح لها.

-وروحتي لها؟

-لأ!

-ليه؟!!

جفَّفت أماني قطرات العرق فوق جبينها بيدٍ مرتعشةٍ وهى تكاد يُغشى عليها واستطردت في خوف:

-عشان كُنت تعبانة ومكُنتش قادرة أروح في مكان بعد الشغل.

-أمممممممم! طيب يا أماني قوليلي انتي كنتي بتسهري مع المجني عليها كل يوم تقريبًا في نادي اسمه Columbus صح؟

نظرت أماني في عين طارق كمَن ضُبِط متلبسًا واستطردت في استسلام:

-صح!

-كنتم بتسهرُوا مع مين؟

-مع شلة من الجامعة وشوية من الشغل.

-كنتم بتعملوا إيه بالظبط؟

صمتت أماني قليلاً وهي لا تعرف بماذا تجيب؟ لطالما أرادت التخلص من هذه الحياة العابثة ولكنها لم تستطع بسبب منة وضغطها عليها.

-كنا بنشرب ونسكر ونرقص، منة كانت بتحب الجو ده أوي.

-وأنتي؟

-أنا ....لأ!!

-مش فاهم طيب إيه اللي كان غضبك؟

نظرت أماني لطارق وإيهاب معًا وبصوتٍ حزينٍ وابتسامةٍ شاحبةٍ استطردت في قهرٍ وحزنٍ

-محدّش كان يقدر يقول لمنة لأ مهما كان!!

نظر طارق لإيهاب الذي عقد حاجبيه في استغرابٍ وهو يسمع نبرة الخُنوع والخُضوع في صوت أماني، لماذا لا تستطيع قوْل لا لمنة؟ ماذا تعرفه منة عنها يجعلها تحت رحمتها بهذا الشكل؟ استطرد طارق أسئلته في ثباتٍ:

-أماني! انتي كنتي تعرفي ان منة .....بتّاجر في المخدرات وانها الديلر الرسمي في نادي Columbus؟

أومأت أماني برأسها في موافقة صامتة ودون أن تتركهم يتعجبون أو يستفسرون.

روَت لهم كل ما أرادوا سماعه، وكانت الصاعقة، فالفتاة التى لم يتجاوز عمرها السابعة والعشرون، لم تتركْ شيئًا إلا وفعلته.

من خلال أماني عرفوا أن منة تعرَّفت على أحد رجال الأعمال الذي تتعدى ثروته المليارات، بالإضافة لنفوذه غير المحدود، والذى يصل حد رئاسة الجمهورية نفسها، كانت منة تحاول أن تجذبه لتتولّى الشركة التي تعمل بها حملة إعلانية من ضمن حملاته الإعلانية الضخمة والتى تقدر بالملايين، ومن هنا صاروا أصدقاءً وأكثر بكثيرٍ من الأصدقاء، ففي سبيل إعطاءِ شركتها حملة إعلانية وبالتالي حصولها على عمولةٍ خرافيةٍ من الشركة وافقت منة على طلبه بأن ترافقه عدة أيام لشرم الشيخ يتبادلوا فيها سُبُل العمل والحبّ معًا، عادت بعد

ذلك ومعها عقد الحملة الإعلانية وشيك بمائتيْ ألف جنيه غير الهدايا القيمة.

تعدّدت بعد ذلك بينهم اللقاءات والصفقات فألحَقها بعضوية النادي الذي يملك نصفه تقريبًا واقترح عليها أن تكون وجهًا جميلاً لاصطياد الشباب الثري عن طريق بيع المخدرات؛ خاصة الهيروين على أن يكافئها ماديًّا بمبالغ طائلة ومعنويًّا عن طريق توفير مزاجها الخاص مجانًا والتخلص من أيّ إنسانٍ تريد التخلص منه.

خيَّم الصمت على المكان، وفغرت فاهم وكأن على رؤوسهم الطير!

ما من كلامٍ يُعبر عن حالة القرف والاشمئزاز التى أصابتهم بعد ما روَته أماني صديقة القتيلة، ولكن ثمة سؤال واحد فقط ظل يدور في مخيلتهم:

لماذا؟!! إنها لا تحتاج أن تقوم بمثل هذه الأشياء المحرمة والمنحرفة، فقد كانت تحيا حياةً كريمةً خاصة بعدما ترك لها والدها ميراثًا يجعلها تحْيا معززةً مكرمةً بقية حياتها... إذن لماذا؟!!

قطع إيهاب الصمت وهو يقترب من أماني ويستطرد في هدوءٍ محاولاً سحب كل ما بداخلها من معلومات تُخفيها:

-طيب تفتكري هو اللي قتلها؟ يعني اختلفت معاه مثلاً فسلّط عليها حد يخلص عليها!!

-لأ على حد علمي هي كانت قايمة بشغلها على أكمل وجه، وهو كان مبسوط قوي

منها لأنها كسبته كتير حتى بالأمارة جاب لها عُقد ألماظ تمنه ميقلش عن ربع مليون جنيه قبل وفاتها بكام يوم، فلأ معتقدتش.

-طيب هي اتخانقت مع حد في الفترة الأخيرة في النادي؟

-لأ بالعكس هي كانت حبيبة الكل.

ارتسمت على وجه أماني ابتسامةً ساخرة عند نطق حروف كلماتها الأخيرة جعلت إيهاب يُضيّق حدقة عينيه أكثر وهو يتساءل في تعجبٍ:

-يعنى إيه حبيبة الكل؟!!

نظرت له أماني باستغرابٍ شديدٍ وهى ترفع حاجبًا وتُخفض الآخر:

-جرى إيه يا حضرة الظابط! أنا الى هقولك يعني إيه؟ يعنى من الآخر كل اللي في Columbus كانوا بيحبوها، وهي كانت مظبطاهم كلهم؛ مخدرات وحاجات تانية، من الآخر لا اللي في النادي هما اللي قتلوها، ولا الرجل إياه، بالعكس دول زعلانين عليها، اللي موّت منة باختصار.....حاجة واحدة:

-إيه هى؟

ضحكت أماني بسخريةٍ مريرةٍ وأكملت عبارتها وهي تتنقل بين وجوههم في استهزاء:

-عملها الأسود في الدنيا!!!

الفصل الحادى عشر

-اسمَك وسنَّك وعنوانك!!

استأنف طارق وإيهاب التحقيقات مجددًا لكن هذه المرة مع تامر خطيب منة السابق أملاً في إماطة اللثام عن هذه الجريمة في ظل الغموض المحيط بالمجني عليها التي لم تعد مجرد ضحية جريمة قتل وحشية؛ بل أصبحت فتاة أراد الجميع التخلص منها بشكل أو بآخر لما مثّلته من دمار ومصدر أذى لجميع من حولها.

كان تامر شابًا في أواخر العقد الثاني من العمر، لطيف المظهر، يتمتع بقدر عالٍ من الوسامة، ممشوق الجسد، يرتدي عوينات طبيةٍ تُخفي وراءها عيونًا خضراءَ تحاول الهروب في حذرٍ من عيون إيهاب وطارق اللتان يحاصرانه منذ دخوله المكتب وجلوسه أمامهم. ولِمَ لا؟ وهم يريدون معرفة حقيقة منة وحقيقة قاتلها، يبحثون ويحققون ويحاولون مع هذا ومع ذاك، لكنهم للأسف الشديد يسألون دائمًا السؤال الخطأ، فهم يريدون معرفة من قتل منة؟ والحقيقة هي من عرف منة ولم يُرِد قتلها؟ هذا هو السؤال الصحيح.

حاول تامر إخفاء ابتسامته الساخرة وهو يجيب أسئلة طارق وإيهاب محاولاً إيهامهم أنه لا يعلم شيئًا، وهذا صحيح إلى حدٍ كبيرٍ فهو لا يعلم من قتلها لكنه يعلم حقيقتها القذرة، فقد صاحَبَها ست سنوات كاملة، حتى بعد افتراقهم وبعد أن أطلقت سراحه كان يعرف أخبارها، إنه يتذكر يوم شاءت الأقدار لقائهم الأول، كان واقفًا أمام باب مدرسة الليسيه بالمعادى ينتظر صديقته السابقة ليلى؛ تلك الملاك البريء ذات العيون السوداء والشعر الأسود الحريري والقلب الأبيض الذى امتلأ بحبه حتى الذوبان، تلك الفتاة البريئة النقية التي أحبته بكل كيانها وأضاعها هو بغباءه من أجل من كان يعتقد خطئًا أنها تستحق، كانت منة صديقة ليلى الأنتيم ولم يفهم يومًا كيف اجتمع الشيطان مع الملاك سويًا وأصبحوا أصدقاء، ولكن لا يوجد بالحياة ما يجعلنا نندهش فكل شيءٍ جائز وممكن.

خرجت ليلى أمامه من باب المدرسة بصُحبة منة صديقتها الأنتيم التي كانت دائمًا تتحدث معه عنها وتروى له كيف هما أصدقاء منذ الطفولة، في المدرسة وفي الحي، فهي جارتها وصديقتها الوحيدة وأختها وحبيبة قلبها التي افترقت عنها منذ سنتين عندما سافرت مع أهلها في رحلة عمل خارج مصر ولكنها عادت الآن، عادت لها.

أغمض تامر عينيه وهو يتذكر بأسًى تلك النظرة الأولى التى جمعته بمنة، والتي عرف حينها أنها أوقعته في شباكها بعيونها الزرقاء وضحكتها المائعة وشعرها الأشقر المتطاير؛ فهي عكس حبيبته في كل شيء، فحبيبته فتاة بريئة نقية

خجولة أما هذه فهي امرأة لعوب جريئة تعرف كيف تقتحم الرجال وتأسرهم في براثنها بالرغم من عمرها الذى لم يكن يتجاوز حينها الثامنة عشرة، إلا أنها أستطاعت أسْرَه بحركاتٍ جسدها الشهوانية وعيونها العابثة وكلماتها المعسولة الجريئة، استطاعت امتلاكه وفرَّقت بينه وبين حبيبته وأبعدته عنها تمامًا بحيلة غبية دسّتها له في حبها المعسول وهى تتلوى بين أحضانه كحيَّة تريد افتراس ضحيتها، وصدَّقها، صدَّقها لا لأنه شك بالفعل في حبيبته بل لأنه أراد امتلاك هذه الشيطانة والاستمتاع بجسدها الناري تحت قوة جسده، فقد كانت تمنحه كل شيء دون حسابٍ عكس حبيبته التى كانت تعشقه ولكنها كانت تحلم به زوجًا في الحلال.

وبالفعل افترق عن حبيبته بعد سنتين من الحب النقي وقطع كل صلةٍ كانت تربطه بها وحَنَّ بكل وعوده السابقة لها بالزواج أو الخطوبة فور انتهاءها من الثانوية العامة، حتى أنه لم يفكر طوال السنين السابقة التي كان فيها تحت تأثير منة القاتل أن يعرف أخبارها، أو حتى ما وصلت له، كل ما استطاع تذكره عيونها السوداء المكسوّة بالدموع ووجهها البريء وهو يتألم لفراقه، كم كان غبيًا عندما تخلى عنها من أجل تلك الشمطاء، كم يشعر بمدى سخافته وحُمقه لكن لم يعد الندم يفيد الآن.

فماذا يفيد الندم بعد أن مات الملاك البريء منتحرًا، ليتخلص من ألام الفراق، انتحرت ليلى بعد أن دخلت في حالة اكتئابٍ مزمنٍ بعد فراقه عنها وخيانة صديقتها الوحيدة لها، والتى لم تكتفِ بالخيانة بل أذاعت في المدرسة

كلها أن ليلى فتاة سيئة السمعة تركها تامر بعد أن اكتشف خيانتها له مع شباب آخرين، ولم تهدأ حتى لوَّثت سمعة صديقتها التي وثقت بها ولم تكن تتخيل يوما أنها ستُحول حياتها لجحيمٍ مستعرٍ لا نهاية له، كل ما حدث كان أكبر من قدرة احتمال فتاة بريئة في السابعة عشر من عمرها؛ كل ما كانت تحلم به هو الحب والزواج من حبيبها وقضاء وقت صادق وممتع مع صديقة عمرها، لتفاجأ بين ليلة وضُحاها أنها أصبحت مُدانة أخلاقيًا أمام الجميع، الجميع يتهمها في أخلاقها ويلوّثون شرفها، لم تستطع رؤية نفسها في هذا الوضع البائس وضعت لحياتها كلمة النهاية بعد أن شعرت بالغربة وسط الجميع؛ أولهم حبيبها وصديقتها الوحيدة.

كل هذا لم يعلمه تامر إلا بعد سنين طوال، بعد أن قابل صديقةً قديمةً لمنة وليلى من أيام المدرسة وبسؤالٍ عابرٍ منه عن ملاكه البريء فاجأته صديقتها بالفاجعة والصدمة غير المتوقعة:

"ليلى ماتت الله يرحمها!! أنت متعرفش"!!

لم يتفوَّه بكلمة وهو يحاول جاهدًا التغلب على أنفاسه المتلاحقة وعيونه تحاول حبس دموعه الساخنة داخل مقلتيه، نظر للصديقة نظرة من لا يصدق أن الملاك يموت والشيطان يحيا وينعم بحياته.

"أنا كنت فاكرة انك عارف!! الله يسامحها بقى منة بعد الفضيحة اللي اتسببت لليلى فيها، ليلى دخلت في حالة اكتئاب مُزمن؛ أهلها حاولوا يعالجوها

بس للأسف حالتها اتدهورت وقطعت شرايين إيديها وماتت في الحال ملحقوش ينقذوها، الله يرحمها".

يومها قدت سيارتي وتركت لدموعي العنان، لم أخبئها ولم أحاول حبسها، فقد كان قلبي يؤلمني بشدة كلما تذكرت مقدار الألم الذى تسببت فيه لحبيبتي بغبائي ورعونتي وركضي وراء شهواتي على حساب قلبها البريء، ألهذه الدرجة كنت أعمى!! لم أرَ أنني ظلمت فتاة بريئة جُلَّ خطئها كان حبها لي، يالله كم أنا شقيٌّ!! سأحيا عمري كله حزينًا أعض أناملي من الحزن والغضب على ضياع حبيبة القلب من أجل ساقطةٍ لا تستحق.

رأيت منة بعد ذلك وروّيت لها ما عرفته، تخيلت للحظة أنها ستتأثر، ستحزن، ستبكى أو حتى تتعاطف مع موت صديقة الطفولة والمراهقة، ولكن كما توقعت قابلت الأمر بمنتهى القسوة الممزوجة ببرودةٍ لا وصف لها، لم تذرفْ دمعةً واحدةً، لم ترتجفْ خليةً واحدةً في جسدها، وبمنتهى اللامبالاة استطردت وهي جالسةٌ واضعة ساقًا فوق أخرى:

-ما أنا عارفة من زمان الموضوع ده!!

-عارفة؟!!.....عارفة أن ليلى ماتت ومقولتليش؟ عارفة انها انتحرت ومقولتليش؟

شعرّت بالهياج داخلي يأكلني، براكين من نارٍ تنهش في قلبي وتُذيب لحمي وعظمي وتّحيلني كائنًا لا يرى شيئًا أمامه سوى الغضب والحسرة لموت فتاته

البريئة:

-وانت كنت عاوز تعرف ليه؟ يهمك في إيه مش انت اللي سبتها؟ هو أنا ضربتك على إيدك؟

-أيوة بس.....

-مابسش.....ليلى انتحرت بعد ما خلصنا ثانوي يعنى بعد ما ارتبطنا ببعض بكام شهر، كُنت فين كل الشهور ديه وانت شايفني بشنَّع عليها وبفْضحها؟ ولا تكون مصدق فعلاً أن ليلى اللي كانت بتتكسف من خيالها بتاعت رجالة وخانتك؟ ولما انت طيب وبتحبها قوي كدة سبتها ليه؟ ومسألتش عليها ليه طول السنين اللي فاتت ديه؟ بص يا تامر متعملش فيها شريف، انت كنت عارف كويس ان ده كله كان كدب وكنت موافق عشان كنت عاوزني فبطل تعمل فيها غلبان.

صمتت قليلاً وأقتربت مني وهى تحاول كعادتها إغوائي وإسقاطى تحت تأثير جمالها الشيطاني، ظلَّت تنظر لي بعيونها التي وقعت تحت تأثيرها المدمر سنين طوال، اقتربت أكثر بجسدها الناري من جسدي وضغطت صدرها العاري على صدري تريد إشعال الشهوة بداخلي كعادتها دائمًا عندما تريد نسياني أمرًا، واستطردت في ميوعةٍ شديدةٍ:

-وبعدين يا تامر انت عارف أنا بحبك قد إيه؟ ولولا حبي الكبير ليك اللي أسرني من أول مرة شوفتك فيها مكنتش ممكن أعمل حاجة زي ديه أبدًا، أنسى بقى.....وتعالى جوايا... أصلك .....واحشني.

ما حدث لا أريد تذكره كعادتي من سنين، ضعفت أمامها وأمام جسدها الفتيّ، لكنني أعترف أنني هذه المرة لم أشعر بالسعادة أو نشوة امتلاكي لها، بل على العكس تمامًا شعرت بحقارتي وضعفي أمام جبروتها، شعرت لأول مرة أنها هي من تملكني لا العكس، ولأول مرة أشعر بانكسارٍ داخلي وغُصة تملأ قلبي وروحي.

-وبعدين؟!!

استطرد طارق بصوت هادئ:

-ولا حاجة!! بعدها بفترة أنا تعبت وطلع عندي مشاكل في الكلى، والدكتور نصحني اني أرتاح وماسهرش، بس المرض كان شديد قوي عليَّ، وطبعًا لما تعبت منة زهقت مني وسِبنا بعض.

تبادل طارق وإيهاب النظرات، لا يعرفان بماذا يجيبانه؟ أو ما المفترض قوله في هذه الحالة؟ فألسنتهما عاجزة عن التعبير عن كم الاشمئزاز الذي بداخلهم من الجميع، بداية من القتيلة مرورًا بخطيبها وصديقتها الأنتيم، إنهم جميعًا جُناة في حقّ أنفسهم قبل أن يكونوا مخطئين في حق الأخرين، فهم يعيشون حياة مليئة باللهو والانحراف والتهوّر دون أدنى تفكيرٍ في عواقب أعمالهم المنحرفة على مسار حياتهم ومستقبلهم، والسؤال هو لِمَ؟ لِمَ يقدمون على هذه الحياة التافهة الضائعة في حين أنهم يملكون كل مقومات الحياة الناجحة يلها هدف ومستقبل متميز ومشرق.

أنهى طارق تحقيقه مؤقتًا مع تامر بعد أن أكد عليه أن التحقيقات لازالت مفتوحة

ولم تنتهِ بعد وأنهم ربما يقوموا باستدعائه مجددًا لاستكمال التحقيقات، وعلى هذا لا يستطيع السفر خارج مصر بشكلٍ مؤقت، هزَّ تامر رأسه في تفهُّم، وقبل أن يهم بالرحيل وقف والتفت تجاه طارق وإيهاب واستطرد في ألمٍ:

-أنا يمكن مقتلتهاش.....بس أنا كنت بتمنى موتها في كل يوم وكل لحظة لأنها حقيقي كانت لعنة دمرتني ودمّرت أماني ومن قبلنا كلنا دمّرت.....ليلى.

خيَّم الصمت على الجميع، وهم يتابعون خطوات رحيله!! فتعطلت لغة الكلام.

الفصل الثانى عشر

رحل تامر تاركًا طارق وإيهاب وجهًا لوجهٍ أمام جميع الأدلة التي حصلوا عليها في الأيام الأخيرة من بيت المجني عليها ومحيطه، بالإضافة إلى الكمبيوتر الشخصي الخاص بها، والذى استطاع المعمل الجنائي فك شفراته ليستطيع إيهاب وطارق الوُلوج إليه واكتشاف ما به والذى من المؤكد سيكشف الكثير والكثير من أسرار المجني عليها، فضلاً عن التحقيقات التي تمت مع معارف القتيلة وأصدقاءها والتي أصابت الضابطان بحالة من الإرهاق النفسي والذهني.

شرع الاثنان في شرب أكواب القهوة مثل السكارى الذين يجدون الحياة وردية بعد أول خمسين كأسًا واضعين كل يأسهم وصدمتهم من هذه القضية عبر مذاقها الحاد العابر.

-إيه رأيك؟

قالها طارق راجعًا بظهره للوراء وأثار التعب والإرهاق باديةً بوضوحٍ على وجهه

-مش عارف!!

قالها إيهاب بعد أن رشف الرشفة الأخيرة من قهوته

-يعنى إيه؟ أنا مخي قفل خلاص، أنا حاسس ان القضية ديه مش هتتحل، حاسس انها مقَفّلة من كل ناحية.

زَفَرَ إيهاب في قوةٍ وهو ينظر لطارق في تعبٍ:

-قوللي هي ناهد اللي كانت بتشتغل عند منة هي وجوزها برة؟

-آه!!

-طيب دخّلهم خلينا نشوف عندهم إيه هما كمان.

التفت طارق لزر بجانبه ضغط عليه مستدعيًا فرج الذى دخل مهرولاً منتظرًا أوامر طارق له

-فرج! دخّل لنا ناهد بسرعة.

-أوامرك يا باشا!

خرج فرج ليلبي أوامر المقدم طارق، في حين أردف الأخير حديثه باهتمامٍ شديدٍ مع إيهاب:

-آه صحيح!! تقرير رفع البصمات اللي على الخاتم جه وشرايط كاميرات المراقبة الخاصة بالمبنى الإدارى وصلت بردو..

-شفتهم؟

-لأ لسة بس.....

قطع حديثهما دخول فرج برفقة ناهد الخادمة، كانت ناهد سيدةً بسيطة في أواخر الخمسين من عمرها، سمراء البشرة، تنتشر التجاعيد بوحشيةٍ في وجهها، ترتسم على عينيها نظرة خاوية لم يفهم معناها إيهاب ولا طارق، لكنهما تجاهلا الأمر، ترتدى جلبابًا أسود فضفاضًا وطرحة بيضاء.

-اتفضلي يا ناهد!! اقعدي..

-شكرًا يا باشا!!

-اسمِك وسنك وعنوانك وشغلك.

-اسمي ناهد إبراهيم، سني ٥٥ سنة ساكنة في عزبة النخل يا باشا، وكنت بشتغل في بيت أستاذ توفيق ومراته الله يرحمهم بقى.

تنهَّد إيهاب واستلم هو دفة الحديث ووجَّه حديثه لناهد:

-ناهد انتي بتشتغلي عند أستاذ توفيق ومراته من امتى؟

-أنا بشتغل عندهم من ييجي عشرين سنة يا باشا، بعد ما الست هانم خلّفت بنتها منة بكام سنة، كانوا عايشين في فيلا في المعادي ولما نقلوا من ييجي عشر سنين كدة للتجمع خدوني معاهم أنا وجوزي.

-إمممم طيب تعرفي عنهم إيه يا ناهد؟

-كل خير يا باشا.

-أيوة يعني بنتهم منة القتيلة تعرفي إيه عن حياتها؟ عن صحابها، معارفها، طباعها، أي حاجة.

-هي يا باشا كانت متدلعة قوي وأي حاجة تطلبها بتجبها، وأبوها أستاذ توفيق كان راجل طيب قوي وذوق عمره ما ضايقني ولا قالي كلمة وحشة والست بتاعته مدام سلوى الله يرحمها كانت ست طيبة وعمرها مزعلتنا أنا ولا حسين، الله يرحمهم بقى.

نظر طارق لإيهاب نظرة ذات مغزى، هذه المرأة لن يستفيدوا منها في شيء وهو ما أيّده إيهاب بداخله ولكنه أكمل التحقيق معها على كل حال.

-طيب يا ناهد! وأستاذة وسام كان فيه خلافات بينها وبين المجني عليها؟

-والله يا باشا أنا معرفش حاجة، أصل أنا كنت برُوح الصبح أطبخ وأنضّف البيت وأغسل وأروّح، ومكنش ليّ دعوة بحاجة، بس هما كانوا كلهم كويسين قوي معايا، الله يجازي اللي كان السبب، ربنا ينتقم منه، القاتل خرب بيوتنا، وشردني أنا وجوزي ربنا ينتقم منه.

قالتها ناهد وانفجرت في البكاء والعويل أمام طارق الذي وضع يده على وجهه تعبيرًا عن ضيقه من هذه القضية التي لا أمل فيها، بينما حاول إيهاب جاهدًا كتم ضحكته، فما يحدث أمامه الآن من ناهد ما هو إلا تمثيلية هزّلية متقنة الأركان.

-طيب يا ناهد! وقّعي على أقوالك؛ بتعرفي تكتبي ولا تبصمي؟!!

-لأ ياباشا بعرف أكتب طبعا!!

قالتها ناهد وانتفضت توقّع على الدفتر أمام طارق الذى ظلّ ينظر لها في غيظٍ شديدٍ.

-أمشي بقى يا باشا؟

-امشي يا ناهد!!

-الله يباركلك!! ربنا يديم عليك نعمته، ربنا يوفقلك ولاد الحلال!!

-خلاص يا حجة.. اتكلي على الله!!

قالها طارق محاولاً كبح زمام غضبه، خرجت ناهد وأغلقت دونها الباب، في حين انفجر إيهاب ضاحكًا وطارق ينظر له بغيظٍ:

-انت بتضحك على إيه؟ ممكن أفهم؟!!

تمالك إيهاب نفسه بصعوبة شديدة وهو يجبّه في هدوء:

-أصل الوليّة ديه كدابة! ويتمثّل وعارفة بلاوي عن العيلة ديه بس مش عاوزة تنطق!!

زفر طارق في غلٍّ وضيقٍ وأردف في غضبٍ:

-والله لولا انهم وقت ارتكاب الجريمة كانوا في مكان بعيد وفى شهود كنت علّقتها هي وجوزها، أنا اتخنقت من القضية ديه، أنا مش هحقق مع جوزها لو انت عاوز تحقق معاه انت حر.

-لأ ملوش لزوم هيقول نفس كلامها، بص أنا من رأيي نروح ناخد دش سخن وننام لنا ساعتين تلاتة وبعدين نرجع تاني نفرز الأدلة بالراحة من أول وجديد، بالذات اني عاوز ادخل على الكمبيوتر بتاعها واشوف محتوياته، أنا متأكد اني هلاقي بلاوي فيه تفيدنا في التحقيقات، وانت تشوف الأدلة الجديدة اللي وصلتنا من البيت والمحيط اللي حواليه، أكيد ان شاء الله هنطلع بحاجة، بس بصراحة أنا خلاص اتهديت دلوقتي ومش شايف قدامي.

أومأ طارق برأسه في وهَنٍ مادًا يده ليأخذ سترته ويتأهب للرحيل.

-ما تيجي معايا البيت بدل ما تروح لوحدك وانا لوحدي تعالى معايا حتى نتناقش واحنا في السكة!!

رفع إيهاب نظره لطارق وانفجر ضاحكًا

-عليك من كل ده بإيه!! والنبي يا ابني صالح مراتك وروح بُوس راسها ورجليها واعتذرلها ورجعّها لبيتك بدل ما انت بتقاسي بالشكل ده.

-يووووووه هتيجي ولا لأ؟

-هاجي!! الصراحة مش عاوز أروح البيت، هاجي معاك وأمري لله وبما أني هروح معاك ناخد الشغل بقى معانا البيت وقبلها نعدي على الحاتي نجبلنا كيلو كباب عشان أنا واقع من الجوع..

-وأنا ميت..

-طيب شيل الورق ويلا بينا..

لملم طارق وإيهاب الأوراق والأدلة وانطلقوا في طريقهم لمنزل طارق آملين أن يتوصلوا الليلة إلى دليل واحد يرشدهم للقاتل.

وصل طارق وإيهاب إلى المنزل بعد حوالي الساعة، وضعوا الطعام على المائدة وبدأوا في التهامه بنهمٍ شديدٍ لم يستطيعوا بعده الحديث لعدة دقائق حينما قطع طارق صمتهم:

-بس بصراحة يا إيهاب القضية ديه مستفزاني قوي، معقولة بنت عندها ٢٧ سنة تعمل كل ده؟

-آآه وفيه بيعملوه أبشع من كدة كمان.

-أيوة بس ليه؟!!

-طمع، حب، سيطرة، أنانية، استبداد، يعني حاجات كتيرة!!

-بس بصراحة هي بت بنت كلب تستاهل القتل!!

ضحك إيهاب بملء فيه واستطرد في سرعةٍ:

-هي من ناحية تستاهل تستاهل، بس بردو يا صديقي الدنيا مش غابة وده ميبررش قتلها بالوحشية ديه.

-عندك حق.....تشرب شاي؟!

-آه ياريت!!

قالها إيهاب وهو يجمع بواقي الطعام فى أخر الطاولة، ثم وضع بدلا منها الأوراق والتحقيقات، وجهاز اللاب توب أمامه على المائدة، وبدأ في تقسيم الأدلة كل فئة على حدة، التحقيقات والأدلة التى استخرجوها من غرفة المجني عليها بعد إزالة الدماء منها؛ واللاب توب الخاص بها بمحتوياته، وشرائط كاميرات المراقبة بعد تفريغها.

أتى طارق بعد عدة دقائق حاملاً كوبين من الشاي، وضعهم أمام إيهاب على المائدة وجلس قبالته:

-انت مش هتنام؟

-لأ!! أنا بعد ما أكلت فوقت.

-وأنا كمان.

-بص!! أنا همسك اللاب توب بتاعها وهشوف هطلع منه بإيه؟ وانت اقرأ التحقيقات وفي الآخر نبقى نشوف أدلة البيت ماشي!!

-تمام!

فتح إيهاب اللاب توب الخاص بمنة بعد أن أدخل كلمتيّ السر الخاصين به، كان إيهاب يشعر في قرارة نفسه أن هذا الجهاز يحتوي على الكثير من الأسرار الخاصة بمنة والتى لم تكن تريد من أحد اكتشافها أو الوصول إليها، وإلا لماذا أغلقته باستخدام كلمتيّ سرٍ لا واحدة مثل جميع البشر؟

على مدار أكثر من ساعتين لم يتفوّه إيهاب بكلمة واحدة، لم يتزحزح من مكانه سنتيمتر واحد بل وصل به الأمر أن عينيه لم تتحركا من مكانهما قط ولو على سبيل التغيير، فما وجده على جهاز منة كان كفيلاً بإسّكاته نهائيًا، فهذا الجهاز اللطيف الأنيق من ماركة أبل الراقية غالية الثمن كان يحتوى على أقذر حقائق تخص منة وأصدقاءها بين صور فاضحة لها ولأصدقاءها وهم يتعاطون المخدرات وأمامهم كؤوس الخمر، فيديوهات أخرى لسهراتهم الماجنة، صور كثيرة لها على مدار سنين حياتها القصيرة.

ملفات عدة تضم صورًا لها في طفولتها ومراهقتها وشبابها، مع خطيبها السابق ومع أصدقاءها في نادي Columbus، في جميع أوضاعها الحياتية، بملابس البيت والملابس الرسمية والسهرة، حتى الملابس الداخلية لم تكن تخجل من تصوير نفسها عارية أو بملابس مثيرة، كانت تقوم بتصوير نفسها في جميع الأوضاع وجميع الأوقات ومع كل الناس، كما لو كانت أرادت توثيق لحظات حياتها من خلال الصور، وهو ما يدعو للشك هل كانت منة تشعر بدنُو أجلها واقتراب نهايتها المأسوية أم كانت تقوم بذلك من أجل المتعة وحبًا في ذاتها؟ هل كانت مصابة بمرض النرجسية وعشق الذات أم كانت تريد توثيق انحرافات خطيبها وصديقتها أماني حتى تستطيع إذلالهم وإخضاعهم لسلطانها؟

شعر إيهاب لأول مرة في حياته بالعجز عن فهم تلك الفتاة وأفعالها الغريبة الشاذة، نعم الحياة بها الكثير من الأشياء اللامعقولة لكنها على الأقل مبررة لكن هذه ما هو مبررها؟ لقد نشأت نشأة طبيعية بين أب وأم يوفران لها كل شيء

ترغب به، حظت بمستوى تعليمي محترم، وعلى قدر عالٍ من الجمال والثراء، إذًا لماذا تكون بكل هذا الكم من الشذوذ والمرض النفسي والأخلاقي معا؟ لماذا أرادت تدمير جميع من عرفتهم فى حياتها؟ لماذا كانت مصدر أذى وكره للجميع؟ لماذا؟

سؤال لم يجد له إيهاب إجابة فما يراه أمامه من صور تبرز انحلالها الأخلاقي وعمق مرضها النفسي لم يكن في الحقيقة له تفسير.

أكثر ما جذب انتباهه كان ملفًا قابعًا بفخرٍ في قلب جهازها اسمه أثار استغرابه جدًا، فما هي كنوز منة توفيق حتى تقوم بتجميعها كلها وتضعها في ملف وتغلقه بكلمة سر من حسن حظ إيهاب أنها كانت كلمة سر مطابقة لإحدى كلمات السر التى استخدمهما سابقًا، وحقًا هنا بدأت المفاجآت تتوالى، والحقائق تتكشف بشكلٍ لم يكن إيهاب يتخيله قط.

فما رآه لاحقًا يكشف الكثير ليس فقط عن منة بل عن الجميع دون استثناء.

*****

-أستاذة أماني! أنتى قلتي في التحقيق اللي فات انك مروحتيش لمنة البيت لما كلمتك صح؟

-أيوة!!

ارتعدت فرائص أماني وشعرت ببرودةٍ تسري في أوصالها، وإيهاب يقترب منها بثباتٍ ناظرًا في عينيها بقوةٍ:

-انتي متأكدة؟

-أأأأأيوة!!

أومأ إيهاب برأسه في صمتٍ، وهو يتناول بعض الصور من أمام طارق ويعطيها لها.

-شايفة الصور ديه؟ ديه صور كاميرا المراقبة الخاصة بالمبنى الإدارى اللي قدام فيلا المجني عليها، ومن حسن الحظ الكاميرا الخارجية زاويتها بتجيب مدخل فيلا القتيلة، بصي عليهم كدة صورة صورة.

دَنّا إيهاب منها أكثر وهو يمسك الصور بيدٍ وباليد الأخرى يشرح محتواها:

-ديه صورة وسام أخت القتيلة وهي داخلة البيت الساعة ٦:٠٠ وديه صورتها وهي خارجة الساعة ٦:٣٠ وشوفي بقى ديه صورة مين؟ ديه صورتك انتي، وانتي داخلة الفيلا الساعة ٧:٣٠ مش ديه انتي بردو؟

اغرورقت عينا أماني بالدموع وهى تواجه دليلاً دامغًا على كذبها، دليلاً كفيلاً بان يُحكم رباط حبل المشنقة حول رقبتها وبمنتهى السهولة، أكمل إيهاب حديثه بحماسٍ شديدٍ وهو يرى ردة فعل أماني ويتأكد أنه أوقع بفريسته وأحكم انقضاضه عليها.

-وديه وانتي خارجة من الفيلا الساعة ٨:١٠ بتجري ومستعجلة؛ ياترى كنتي مستعجلة ليه؟ ومرت ساعة كاملة محدش دخل فيها الفيلا نهائي، ورجعت وسام البيت الساعة ٩:١٠ وبعدها ب ٢٥ دقيقة بالظبط وصل البوليس بعد وسام ما

اتصلت بيه الساعة ٩:١٨ دقائق، وطبعًا مش محتاج أأكد عليكي انه مفيش أثار اقتحام في الفيلا نهائي لا من خلال الباب الأمامي ولا الباب الخلفي اللي على طول مغلق بجنازير، ولا حتى الشبابيك فيها كسر، يعني اللي دخل لازم يكون دخل من الباب الأمامي، أظن كدة مبقاش فيه مجال للكذب.

جَرَت أنهارًا من الدموع على وجه أمانى، وهى تقاوم حالة الاختناق التى أصابت رئتيها، كأنما أُلقى بها في محيطٍ من الأدخنة والنيران تريد التهام روحها وسحق جسدها، لم تستطع التماسُك كثيرًا وانهارت وهى تردّد دون توقّف:

-أنا بريئة، أنا مقتلتهاش، لازم تصدقوني، أنا مقتلتهاش.

اقترب منها إيهاب مربتًا على ذراعها ثم أعطاها كوبًا من الماء وهو يستطرد في هدوء:

-اهدي يا أماني وقوليلي إيه اللي حصل بالظبط عشان اقدر على الأقل أساعدك.

أومأت أماني برأسها مستسلمة وهى تجاهد لالتقاط أنفاسها، وبدأت في سرد حقائق جديدة عن المجني عليها يوم حدوث الجريمة.

*****

الفصل الثالث عشر

-أيوة بس أنا بردو مش فاهمة خاتم إيه ده إلى خلا منة تنفجر بالشكل ده في أماني؟

قالتها وسام وعلامات الاستفهام ترتسم بوضوحٍ على قسماتِ وجهها موجهة حديثها لإيهاب الذي لم يفهم مغزى استغرابها واستطرد في هدوء:

-معرفش ممكن تكون أماني سرقت منها الخاتم، فانفعلت عليها، متنسيش ان تقرير رفع البصمات أكد بصمات أماني على الخاتم.

-أيوة! بس أنت بتقول ان منة اتنرفزت أول ما شافت الخاتم في إيد أماني وفضلت تصرخ فيها وتقولها جبتي منين الخاتم ده؟ ووصلك ازاي؟ وانتي متآمرة عليّ وكلام كتير من ده يعني مقلتلهاش أنتي سرقتيه؟

-عادي ما هي ممكن تكون بتكدب؟

-هتكدب ليه؟

-زى ما كدبت قبل كدة!

-هى كدبت قبل كدة عشان متعرفوش انها راحت لمنّة بعد ما انا خرجت، وبالتالي تتهموها انها القاتلة، بس خلاص انتم اكتشفتوا كدبها، مش منطقي أبدًا انها تكدب تاني بالعكس هي من مصلحتها انها تقول الحقيقة.

تنهَّد إيهاب في صمتٍ واستطردت بعد لحظاتٍ هادئةٍ:

-على كل حال أنا معنديش أدلة أو إدانة لأي حد غيرها هي آخر واحدة شافت القتيلة وهي حية معنديش أثار اقتحام والكاميرات مصورتش حد دخل بعدها والباب الخلفي للفيلا مقفول بجنازير مصدّية يعني محدش استعمله من سنين، يبقى القاتل دخل ازاي؟ هي دلوقتي مقبوض عليها، والنيابة بقى هيّ اللي هتقرر مصيرها، أنا مهمتي ضبط الجاني.

-مش ده لو هي الجاني؟؟!!

عقد إيهاب حاجبيه في استغراب واقترب بوجهه من وسام واحتد صوته قليلاً:

-أستاذة وسام انتي متخيلة أني هقبض على واحدة وأنا مش واثق انها مُدانة؟ لو كانت كدة كان الأولى اني أقبض عليكي انتي، لكن أنا بحثت ودوّرت وفرّغت شرايط المراقبة اللي في البنك وعملت تحريات وتحقيقات احنا بقالنا تقريبًا شهرين مبنّمش أنا وطارق عشان نحل القضية ديه ونضبط الجاني وكان سهل جدًا اننا نريّح دماغنا ونتهم أيّ حد وانتي كنتي متّهمة نموذجيّة محدش كان هيشك فينا لو اتهمناكي.

تلعّثمت وسام في توترٍ وابتلعت ريقها بصعوبةٍ وهي تشعر بالخجل من نفسها،

لم تعرف ماذا تقول أو كيف تعتذر؟ لكن بالرغم من كل شيء فهي تشعر ببراءة أماني، ففي القصّة ثغرات كثيرة ربما لم يلاحظْها المقدم إيهاب وطارق، أماني ربما تكون فتاة منحرفة لكن قاتلة صعب تصديق ذلك.

-أنا اسفة يا سيادة المقدم أنا والله مقدّرة تعبكم وتعبك انت شخصيًا بس.....

-بس إيه؟

-أنا جوّايا إحساس ان مش أماني هي اللي قتلتها، ليه دلوقتي؟ ليه بالطريقة ديه؟ ما كان سهل عليها تحط لها هيروين في الخمر اللي كانت بتشربها زي المياه في سهرة من سهراتهم وخلاص ليه تقطعها وتغرق أوضتها بدمها مش منطقي، وبعدين الخاتم ده إيه؟ ألماظ؟ ولا زمرد ولا إيه؟

-خاتم فضة على شكل وردة.

-فضة؟ فضة؟ أنا أختى عمرها ما حبّت الفضة طول عمرها بتكره الفضة، منة مكنتش بتلبس غير ألماظ أو زمرد، أو أقل حاجة دهب، لكن فضة استحالة، ديه مرة مسحت بكرامة خطيبها الأرض قدامي وقدام مامتها وقدام بابا عشان جاب لها في عيد ميلادها خاتم ألماظ قيراط واحد واتهمته أنه بخيل يبقى هتتخانق على خاتم فضة مش معقول!!

صمت إيهاب بضع دقائق وهو يتفرّس وجه وسام، وفجأة اختلفت ملامحه كليا، هبَّ واقفًا وانطلق خارج المقهى دون أن يتحدث بكلمة واحدة أو يُلقى السلام على وسام أو حتى يقول لها ماذا حدث؟ ركض إلى مكتب طارق في مديرية الأمن

حيث تقبع صور الأدلة التي لم تذهب بعد للنيابة، ظل يتفحص الصور ويبحث هنا وهناك حتى وجدها، صورة صغيرة جودتها متوسطة استخرجها من جهاز الكمبيوتر الخاص بمنة ولم تلفت انتباهه وقتها وسط الكم الهائل من الصور والفيديوهات الموجودة على جهازها، صورة لفتاتين في سن السابعة عشر، يرتدون ملابس المدرسة، صورة تجمع بين منة وفتاة ذات شعر أسود حريريّ وعيون بريئة تضحك في رقة وفي إبهامها خاتمًا بَدَا له مألوفًا بشكل رهيب، خاتم فضة على شكل وردة، وردة قاتلة.

*****

-تامر! تعرف البنت اللي في الصورة ديه؟

ابتلع تامر ريقه بصعوبة وأردف بصوت خافت متألم:

-ديه ليلى.....الله يرحمها!

نظر طارق لإيهاب في صمتٍ في حين استطرد الأخير حديثه في هدوء:

-طيب يا تامر تعرف حاجة عن الخاتم اللي في إيد ليلى ده؟

صمت تامر قليلاً في محاولة منه للتذكُّر ثم استطرد بصوتٍ خافتٍ مليءٍ بالخجل:

-ده الخاتم اللي أنا ومنة جبناه لليلى في عيد ميلادها، قبل ما منة توقع بيني وبين ليلى وترمي شباكها عليَّ.

-انت اللي اديته لأماني؟!!

عَقَدَ تامر حاجبيه في ذهول، واستطرد في سرعةٍ:

-ادته لمين؟ الخاتم ده فضل مع ليلى لحد ما سبنا بعض!!

-يمكن ليلى رجعته لمنة مثلاً؟

-لأ! لو حصل كانت منة قالتلي أو على الأقل كانت رمته، منة مبتحبش الفضة وأكيد مش هتلبس أو هتحتفظ بخاتم يفكرها بليلى اللي هي دمَّرتها، يمكن لو دهب ولا ألماظ كانت احتفظت بيه، لكن فضة لأ!!

-طيب سؤال أخير يا تامر!!

-اتفضل.

نظر إيهاب لتامر مليًّا واستطرد قائلاً:

-أماني كانت تعرف ليلى؟

هزَّ تامر رأسه نافيًا.

-لأ.....ليلى كانت صاحبة منة في المدرسة، ومنة اتعرفت على أماني في الجامعة، يعني أماني عمرها ما قابلت ليلى، ومنة عمرها ما جبت سيرة ليلى يعني استحالة تكون تعرفها.

صمتٌ ثقيلٌ خيَّم على مكتب طارق، جعل الجميع غير واعٍ بما يحدث، من أين ظهر هذا الخاتم؟ ومن أعطاه لأماني؟ ولماذا عاد من ماضٍ أليم أراد الجميع نسيانه؟ ما معنى ما يحدث؟

لو أماني ليست القاتلة إذًا من القاتل؟

*****

دَلَفَ إيهاب مكتب صديقه وكيل النيابة محمود الراسي الذى صار لحسن الحظ مسئولاً عن قضية قتل منة توفيق بعد أن تم تحويلها له للتحقيق فيها، بعد السلام والأحضان الحارة والعتاب على قلة اللقاء، صارح إيهاب صديقه بما جدَّ في التحقيقات وأنه يشك بنسبة كبيرة أن أماني ليست هي القاتلة وطلب منه إعطائه فرصةً للتحدث مجددًا مع أماني في محاولة منه لكشف غموض ما قد يساعدهم في ضبط الجاني الحقيقي، وهو ما أيده محمود بعد أن أخذ منه وعدًا بالأنتهاء سريعًا حتى يستطيع التحقيق معها بشكل رسمي حتى لا يصبح عملهم غير قانوني ويصبحوا في نظر العدالة شركاء في الجريمة.

شكره إيهاب بعدما أعطاه وعدًا بأنه سيسلمه الجاني الحقيقي قريبًا، لم يكن إيهاب وقتها يعلم أنه بالفعل اقترب من القاتل بشكل كبير.

-أماني أنا جايلك دلوقتي عشان فيه معلومات جديدة ظهرت في سياق القضية ممكن تطلّعك من هنا وفى أسرع وقت، بس ياريت تكوني صادقة معايا!!

امتلأت عينّا أماني بالدموع، وبَدَت عليها أمارات اللهفة، وبدأ الأمل ينبض بداخلها من جديد، وبمزيجٍ من البكاء والأمل استطردت في خفوت:

-والله أنا مقتلتهاش ولا أعرف حتى مين اللي عمل كدة!

اقترب إيهاب برأسه منها وأكمل حديثه بصوتٍ خفيت:

-عارف! بس لازم تأكديلي!

-أنا تحت أمرك في أي حاجة!!

-طيب أنا عاوزك تحكيلي كل حاجة حصلت يوم الحادثة بصراحة، بصراحة يا أماني.

-حاضر.

جففت أماني دموعها، وبدأت في سرد قصتها بأمانة شديدة بدءً من وصولها الفيلا بعد مكالمة هاتفية عصيبة بينها وبين منة أمرتها فيها الأخيرة بالحضور فورًا لمنزلها بعد أن تشاجرت مع أختها، ولم تتوانى أماني عن تنفيذ ما اؤتمرت به، وصلت لمنزل منة التي أدخلتها غرفتها وهى تنتفض من الغضب وعروق وجهها نافرة من الحقد والغل الذى يملأ قلبها.

كانت أماني تخشى منها كثيرًا وتتحاشاها وتتجنب غضبها دائمًا، ظلت منة تتحدث بكلام غير مفهوم عن الشجار الذى دار بينها وبين أختها وتلقي بآلاف الوعود أنها ستنتقم منها وستُريها أقصى آيات الأسى والألم، حتى لمحت الخاتم الفضة في يد أماني.

وهنا حدث ما لم تكن أماني تتخيله يومًا، تحولت منة لوحش كاسر، عيونها زائغة ينطلق منها الشرر والقسوة واكتسى وجهها باللون الأزرق من شدة الغضب، وهاجمتها بمنتهى العنف والقسوة جاذبة الخاتم من يديها وظلت تصيح بها تريد أن تعرف من أعطاها هذا الخاتم، وكيف تحصَّلت عليه وعندما لم تجبّها

أماني جذبتها من شعرها وقذفت بها على المقعد لتقع أرضًا وهى ترتجف من الخوف والألم، فهذه هي أول مرة ترى منة في هيئتها الحقيقية..... شيطانة في ثوب امرأة.

-وبعدين يا أماني؟

-خُفت منها، وقُمت من الأرض خدت شنطتي وطلعت أجري من غير حتى ما أبص ورايا كل اللي سمعته صوتها وهي بتصوت وتشتمني وتهددني بأنها هتفضحني وتوديني في داهية وتضيع مستقبلي.

-أماني! مين إلى ادالك الخاتم ده؟

نظرت له أماني بترجٍّ كأنما تريد حثّه على عدم توجيه هذا السؤال لها:

-أماني! ده دليل براءتك، مين ادالك الخاتم ده؟

-أحمد!!

قالتها أماني في خفوت وعيونها تمتليء بالدموع والألم، واقترب منها إيهاب مجددًا مستكملاً أسئلته في حماسٍ كما لو كان يشعر أنه اقترب من الحقيقة.

-أحمد مين؟!!

تنهدت أماني في استسلام:

-أحمد ده شاب اتعرفت عليه في Columbus من ٦ شهور تقريبًا، وهو اللي اداني الخاتم ده هدية عيد ميلادي، بس أنا مقلتش لمنة علي علاقتنا، ولا على

الهدايا بتاعته وكانت أول مرة ألبس الخاتم فيها المرة اللي اتخانقت معايا فيها.

-طيب وانتي داريتي عليها ليه؟!

-عشان عمرها ما كانت هتسبني أعيش حياة طبيعية وأحمد حقيقى كان بيروح النادى، لكن كان لا بيشرب خمر ولا مخدرات، وكان نفسه اني أبطل وأعيش حياة طبيعية زي أي بنت محترمة، وأنا كمان كان نفسي اتجوّز واخلّف علشان أنا تعبت من الحياة ديه.

-معاكي رقمه؟

نظرت أماني له في صمت واستطردت مستسلمة بعدما تيقنت أنها لن تستطيع حمايته بعد ذلك.

-أيوة

هزّ إيهاب رأسه في صمت وأخذ منها رقم أحمد وكل ما تعرفه عن حياته ومكان عمله وسكنه وبدأ بحثه الذى يأمل أن يصل به للحقيقة.... الحقيقة الكاملة.

الفصل الخامس عشر

جلس يشاهد خيوط النور المنبعثة من الشمس في استحياءٍ، يحاول أن يُفسح لها المجال داخل قلبه لعلها تنير له الطريق، لكن للأسف انتهى كل شيءٍ وفات أوانَ الرجوع، فبعدما سلك طريق الهلاك لم يعد باستطاعته العودة أو حتى التوقف عما بدأه، إنها حربٌ ولابد أن ينتصر فيها قبل.....أن يسقط إلى الأبد.

إنها النهاية..... للجميع.

وقفَتْ وسام تشاهد زحام شارع ٩ بالمقطم، تتنقل عيناها في حيرةٍ بين الشارع والمارّين وبين هاتفها المحمول، لقد حاولت كثيرًا الاتصال بالمقدم إيهاب خلال الأيام الماضية وتركت له العديد من الرسائل لكن دون جدوى، إنها تريد أن تعرف آخر تحديثات القضية، وهل استطاع كشف حقيقة الخاتم أم لا؟ هل استطاع الوصول للجاني الحقيقي أم لا؟

زَفَرَت وسام في ضيق وألقت بجسدها على المقعد أمامها، حينئذٍ رن هاتفها المحمول فقفزت سريعًا لالتقاطه وأجابت في لهفة:

-ألو!

-ألو! أستاذة وسام؟!!

-أيوة.

-أنا النقيب وائل، المقدم إيهاب عاوز يقابل حضرتك ضروري، أنا منتظر حضرتك قدام الفندق عشان أوديكي له في المديرية، ياريت متتأخريش.

-أه .....

قطع الخط بغتةً بعدما أغلق النقيب وائل الخط، استغربت وسام من ردة فعله الغريبة، لكنها ألقت بكل هذه الأفكار بعيدًا وارتدت ملابسها بسرعة ولسان حالها يقول:

"ياترى عرف مين قتل أختي ولا لأ؟"

هبطت وسام أمام الفندق تبحث بعينيها هنا وهناك عن النقيب وائل حتى شعرت بأحد الأشخاص يقف وراءها مُلصقًا سكينًا في ظهرها وبدأ يتحدث معها بصوت خفيض:

-من غير شوشرة ومن غير صوت اركبي العربية، واحسنلك ما تقوميش بأي حركة بدال ما تلاقي المطواة ديه مغروزة في ضهرك، وساعتها لا هينفعك صوتك ولا الناس.

-حاضر!

قالتها وسام بصوت غلب عليه الخوف الشديد، وتقدمت نحو السيارة التى أشار محدثها المجهول نحوَها، فتح لها الباب وصعدت وسام إلى السيارة لكنه لم يمهلها لحظة واحدة لترى وجهه، أخرج من جيبه بخاخًا قام برشه في وجهها حتى أفقدها وعيها، صعد المجهول بجانبها في السيارة بعدما اطمئن أنها ذهبت في سباتٍ عميقٍ وانطلق هو بسيارته نحو المجهول.

*****

فى مديرية أمن القاهرة وبناءً على المعطيات الجديدة التي عرفها إيهاب من أماني شرع في تكثيف بحثه خلال الأيام الماضية للوصول لشخص أحمد، وكانت المفاجأة غير متوقعة بكل المقاييس إلا أنه أبقى البحث طيَّ الكتمان حتى لا يشعر أحمد بأن الشرطة كشفته فيأخذ حذره ويهرب للأبد، إنه يشعر بالأمان بعد القبض على أماني، وثبوت التهمة عليها وتحويلها للنيابة، ولهذا لم يفكر بتغيير مكان سكنه أو حتى قطع عادته اليومية بالذهاب لنادي Columbus ليظل مُطلعًا على آخر مستجدات القضية التى هزت أركان النادي المشبوه، بعد قتل الديلر الرئيسي فيه بطريقةٍ بشعةٍ، خاصة وأن الصحافة مُنعت تمامًا من الحديث عن القضية أو تناول أي من أخبارها حتى الانتهاء تمامًا من التحقيقات والتحريات وصدور الحكم لما تتضمنه القضية من أسماء كثيرة لها سمعتها في المجتمع حتى ولو كانت سمعة صورية فقط.

لكن.....هذه هي الحياة، يعيش الأنجاس على أنهم شرفاء ويعيش الشرفاء على أنهم طفيليات لا قيمة لهم في المجتمع.

دَلَفَ طارق مكتبه ليجد إيهاب جالسًا يُطالع بعض الأوراق أمامه في اهتمامٍ شديدٍ:

-إيهاب فيه مصيبة!!

-إيه؟!

-لازم تشوف بنفسك.

-طيب بلا بينا!!

قالها إيهاب وهو يقفز من مكانه في خطوات واسعة.

هبط الاثنان وانطلقا سريعًا يجُوبُون شوارع القاهرة المزدحمة في محاولة منهم لسباق الزمن.

*****

استيقظت وسام لتجد نفسها مُقيدة الأيدي والأرجل في مقعد خشبيّ قديم في مكان يشبه المخزن أو القبو لا تعرف الشمس ولا القمر مدخلاً له، حولها أثاث مكسور وصناديق تخزين ويتدلى فوق رأسها مصباحٌ عتيقٌ يبعث نورًا أصفر كئيبًا، الأرضية مليئة بالأتربة كأنما لم يتم تنظيفها منذ زمن سحيق، وفي مواجهتها حائطٌ كبيرٌ مليء بالصور المختلفة من الأرض للسماء لأختها منة في جميع أوضاعها وهى تأكل، وهي تقرأ، وهي تقود سيارتها، وهي تتحدث في هاتفها، وهي تصرخ، وهي تبتسم، حائط كامل مليء بصورها المختلفة حتى لحظات

موتها لم تفلت منه، رأتها وسام جثةً هامدةً تتسرب منها الحياة، تسبح في بحر من الدماء كما رأتها أول مرة عند اكتشاف الجريمة، يتوسط بحر الصور هذا صورة شخصية لها بجانب صور أخرى لتامر وأماني.

ما هذا؟ ولماذا هي هنا؟

لا جواب.

انتفضت وسام عندما أتاها صوت خاطِفها من وراءها يحدثها بصوت هادىء بث الرعب في أوصالها وجعل الدماء تُضل طريقها في شرايينها:

-إيه رأيك يا وسام؟!! شفتي أنا تعبت قد إيه عشان أحقق هدفي!!

-انت مين؟

بدت علامات الرعشة والرعب في صوت وسام، حاولت الالتفات برأسها لمعرفة وجه من يُحدثها، غير أنه أمسك برأسها من الخلف مجبرًا إياها على عدم الالتفات إليه والنظر فقط أمامها:

-لو دوَّرتي راسك تاني هدبحك... مفهوم؟!!

أومأت وسام برأسها دون أن تتفوّه بكلمة واحدة، وانسابت على وجنتيها دموع الخوف في بطء واستطردت في خفوتٍ خشية إثارة غضبه:

-أنت عاوز مني إيه؟

-عاوز منك إيه.....عاوز أقولك على الحقيقة، مش انتي عاوزة تعرفي

الحقيقة؟

-!!!!!!!

-انطقي!!

صرخ بها المجهول بشكل جنوني مما جعل جسدها ينتفض بقوةٍ وانفجرت في بكاء هيستيري وهى تجيبه:

-أيوة!.....عاوزة أعرف الحقيقة!!

ابتسم خاطفها المجهول بزهوِ المنتصر وأجاب في هدوء:

-ممتاز!.....عارفة أختك دمرت كم إنسان طوال حياتها؟

هزَّت وسام رأسها نافية دون أن تقدِم على التفوّه بكلمة واحدة، بينما لازال جسدها يرتعش وأنفاسها تتلاحق وضربات قلبها في ازدياد مستمر، كما لو كان قلبها قنبلة موقوتة بداخلها ستنفجر في أي لحظة.

أومأ المجهول برأسه واستطرد حديثه بهدوءه المعتاد:

-أنا هحكيلك حكاية يا وسام، كان في يوم من الأيام بنت جميلة رقيقة مهذبة حظها السيء خلاها تصاحب شيطان اعتقدِت للأسف انه ملاك زيها، أمنت لها وحكيت لها كل اللي في قلبها.

خرج المجهول من دائرة الظلام إلى النور لتُفاجأ وسام بآخر شخص كانت تتوقع رؤيته في هذا المكان، شخص اعتادت إلقاء السلام عليه والتعامل معه باحترام

وود، لم تكن يومًا تتوقع أن يقوم بخطفها وإرهابها بهذا الشكل المروع، بل لم تكن تتوقع يومًا أن يكون أسامة الشاب الخجول الذى يعمل حارس أمنٍ في البناية التى تبعد عن فيلتهم شارعًا واحدًا، والتى كانت تلتقي به يوميًا عند ذهابها للعمل وعند عودتها منه أن يكون هو خاطفها وقاتل شقيقتها، كانت تلقي عليه السلام وكان يحييُها بابتسامة هادئة، كيف تحوَّل هذا الكائن المسالم لوحش كاسر بهذا الشكل؟ كيف؟

وقف أسامة أمامها بجانب الحائط كأنه معلم يقوم بالتدريس لتلامذته واستكمل حديثه في هدوء شديد دون أن يُعطى أي اهتمام لعلامات التعجب التى تظهر بقوةٍ على قسمات وجهها:

-راحت الشيطانة اللي أُعجبت بحبيب الملاك قررت خطفه منها ازاى؟ بإنها تغريه وعشان هو واطي وقذِر صدقها، وساب الملاك عشانها ومش بس كدة دى الشيطانة سوأت سمعة صاحبتها الملاك وخلّت كل أصحابها وجيرانها اللي في المدرسة يكرهوها وينفروا منها ويعاملوها أبشع معاملة.....عارفة البنت دي حصل لها إيه؟

-إيه!!!

قالتها وسام بصوتٍ خافتٍ خائفٍ متألمٍ:

-انتحرت.....ماستحملتش كل اللي مرِّت بيه من خيانة أعز صديقاتها ولا خيانة الإنسان اللي حبّته، جالها اكتئاب ودخلت مصحة نفسية وانتحرت

فيها.....

أغلقت وسام عينيها في ألمٍ، فهى تعلم تمام العلم مقدار الشر الذى كان يقطن قلب شقيقتها منة لكنها لم تكن تتوقع يومًا أن ظلام قلبها يتسبب في موت أعز أصدقاءها بهذه الطريقة المحزنة، لماذا؟ لماذا؟ استكمل خاطفها حديثه في هدوءٍ مريب:

-عارفة حصل إيه كمان؟.....أم البنت دي يوم ما عرفت ان بنتها الجميلة، طفلتها الصغيرة الرقيقة ماتت منتحرة مستحملتش ووقعت، جالها أزمة قلبية وحصّلت بنتها.

انسابت حينها دموع وسام بغزارة على وجنتيها ودون وعيٍ رددت:

-كفاية! أرجوك كفاية!

-كفاية؟! دي الحكاية لسة في نصها يا وسام متستعجليش كدة، عارفة بقى أبو البنت البريئة الى أختك اتسببت في انتحارها وفي موت أمها حزنًا عليها حصل له إيه؟؟؟..... الراجل ده يا ستي جت له حالة اكتئاب حاد زي بنته، قعد تلات شهور في بيته لا بياكل ولا بيشرب ولا بيخرج ولا بيشوف حد ولا حد بيشوفه، اتدمر لحد ما في يوم الجيران شموا ريحة وحشة خارجة من بيته، فضلوا يخبطوا على الباب عشان يفتح، محدش فتح، كسروا الباب ودخلوا يشوفوه لاقوه ميت على الكرسي الى في الصالون بقاله أسبوع حاضن صورة بنته ومراته ومات معهم.....ومحدش حس به.

انفجرت وسام في البكاء بشكل حاد وهستيري وهى تكاد لا تصدق أنها كانت تحيا مع هذه الشيطانة وحدها لمدة تزيد عن العام، لماذا؟ لماذا قامت بكل هذه الأفعال الشنيعة؟ لقد كانت مرفهة تحيا حياة مستقرة بين والدها ووالدتها، لماذا تحولت لشخصية مريضة تقوم بتدمير أقرب المقربين لها دون خوفٍ من الله سبحانه وتعالى؟

يكاد عقلها ينفجر غير قادر على استيعاب ما تسمعه، أيُعقل أن تقوم بكل هذا الشر فتاة فى ريعان شبابها؟ وأين كان والدها من كل هذا؟ لماذا وقف موقف المتفرج ولم يقّدم على أي عمل يردعها ويُعيدها لصوابها؟ لماذا قام بتركها تعيث في الأرض فسادًا؟ لماذا؟

-عارفة يا وسام لما روحت لوالدك ووالدة الشيطانة وقلت لهم اللي بنتهم عملته، واتسببت فيه عارفة أمها عملت فيَّا إيه؟.....طردتني وشتمتني، ولما قلتلها أني مش هسكت وهفضح بنتها، وهاخد حق البنت المسكينة والراجل والست اللي ماتوا بحسرتهم، سلطت عليَّا هي وبنتها ناس حطوا لي مخدرات في بيتي واتسجنت خمس سنين أشغال شاقة، مش بس كدة دي بمعارفها اتسببت في فصلي من نقابة الأطباء، وضياع مستقبلي للأبد.

وما أن انتهى من حديثه حتى أخرج من جيبه مسدسًا، وصوَّبه تجاه وسام التى ارتعدت خوفًا وهى ترى نفسها تدفع ثمن عمل لم تقم به؟

لكن

"من منا لا يدفع ثمن أخطاء الآخرين".

لكن وسام لم تكن تتوقع أن تكون نهايتها بهذه الطريقة؛ فهي لم تؤذِ أحدًا قط في حياتها، اقترب منها خاطفها واضعًا فوهة المسدس بجانب رأسها وهو يكمل حديثه مقتربًا من أذنها اليسرى:

-عارفة يا وسام أبوكي عمل إيه وهو شايف مراته وبنته بيبهدلوني وبيطردوني برة البيت وبيشتموني بأقذر الألفاظ؟

-إيه؟!!! (قالتها بصوت مرتعش)

-ولا حاجة!! وقف ساكت يتفرج عليَّا وأنا بتبهدل.

أغلقت وسام عينيها الممتلئة بالدموع وهي تتذكر يوم ضربَها والدها على وجهها من أجل امرأته وابنتها ظلمًا، كيف تتوقع أن يأخذ لك أنت حقك وهو من أهدر حقي أنا وأنا ابنته اليتيمة؟

-يومها قررت مسكتش، وأخد حقي وحق أمي وأبويا وأختي الصغيرة اللي اتولدت على إيدي وشفتها بتكبر قدامي عروسة حلوة لغاية ما جيت أختك وقصفت عمرها بدري، طول ما أنا كنت في السجن كنت بخطط لليوم اللي انتقم فيه لأهلي ولنفسي، بس للأسف أمها ماتت قبل ما أخد حقي منها، بس هي..... كانت عايشة ومستمتعة بحياتها وفرحانة بنفسها، سنة كاملة بدرس حياتها؛ بتاكل إيه؟ بتشرب إيه؟ بتنام إمتى؟ ومع مين؟ كل حاجة عرفتها عنها وعن قذارتها.

لحد ما جه اليوم الموعود اللي خططت له سنين طويلة وأنا مرمي زي الكلب في سجني.

بدأ أحمد أو أسامة كما تعرفه وسام بهذا الاسم في سرد روايته بنوع من الفخر والاعتزاز الذي بَدَا لوسام كنوع من الجنون الذى لا تعرف كيف سينتهي؟ هل سينتهي بقتلها حتى يُتم انتقامه كاملا أم سيكون رحيمًا بها ويطلق سراحها فلا شأن لها فيما حدث له؛ بل على العكس تمامًا إنها ضحيةٌ مثله، ضحية أبٍ ضعيفٍ وزوجةٍ فاسدةٍ وابنةٍ أفسدها التدليل.

اقترب أحمد منها وهو يصف لها مراقبته للفيلا طوال اليوم حتى واتته الفرصة الذهبية التي كان ينتظرها منذ وقت طويل وهي خلو المنزل إلا من منة، فقد كانت وسام دائمًا بالمنزل تخرج للعمل صباحًا وتعود في الخامسة أو السادسة إلى المنزل، مما أعاق أحمد في تنفيذ مخططه الذي ظل يرتب له في مخيلته سنين طويلة، حتى جاء اليوم وقام بتنفيذها على أرض الواقع.

بعد خروج أماني راكضةً خوفًا من بطش الشيطانة وانطلقها بسيارتها بعيدا، ايقن أحمد أن هذه هى لحظته، صعد أعلى العمارة المجاورة للفيلا والتى تعلو طابقين فقط عن سطح الفيلا وبحبل قوي ربط جسده به، هبط أحمد فوق سطح الفيلا وبقليل من المرونة والتمرين استطاع فتح شباك الحمام والدخول للفيلا دون كسر أو اقتحام.

لم تشعر به الشيطانة ولم تسمعه وهو يقوم بفتح باب الحمام والوقوف أمام

غرفتها، فقد كانت في أوّج ثورتها وغضبها بعدما رأت هديته لأماني، وهو ما كان يصْبُو إليه عندما قام بإعطاء الخاتم لأماني، أراد أن تصل لها الرسالة أن ما قامت به في الماضي ستدفع ثمنه اليوم، ولكنها لم تكن تتوقع أن تدفع الثمن باهظًا هكذا، لم تكن تتوقع أن يكون الثمن عمرها.

فوجئت به يقف أمامها وقبل أن تصرخ أو تقوم بأيّ حركة مفاجئة، أخرج أحمد السكين الذي يحمله وهجم عليها ليشلّ حركاتها وبمهارة طبيب لم تعطه الأيام الفرصة لتحقيق حلمه، ثقب أحمد رقبة منة من الجانب الأيمن ليمنع الدماء من الوصول للمخ، وانفجرت الدماء من رقبتها وفمها وبدأت تشعر بألم الأختناق البشع، لكنه لم يمهلّها وقتًا وبدأ في تقطيع شرايين يديها وقدميها حتى سقطت أمامه أرضًا، وبدأت تشنُّجات جسدها تزداد بعد انقطاع الدم والأوكسجين عن الوصول للمخ.

جلس أحمد فوقها وبدأ في طعنها عدة طعنات متفرقة، وهو يروى لها ما تسببت فيه من دمار له ولعائلته، لم يمهلها الوقت لتعترض أو تصيح أو تقاوم فكانت تتقبل طعناته القاتلة بأستسلام شديد، وآلام الاختناق والتشنجات تعصف برئتيها حتى فارقت الحياة بعد خمس عشرة دقيقة من العذاب والويلات.

"Here, The Party Starts!"

تمتم أحمد بهذه الكلمات قبل أن يبدا حفلته على جسدها، بدأ كفنان ماهرٍ في رسم أروع لوحاته بدمها النجس، كان يستمتع بنثر دماءها في كل صوبٍ وكل مكان، كانت المتعة التى لا تنازعها متع أخرى، بعد انتهاءه من عمله المتقن

على أكمل وجه فتح أحمد حقيبته التى كان يرتديها على ظهره وخلع زيه الأسود المغطى بالدماء ووضعه في الحقيبة وعاد إلى الحمام وكما دخل خرج دون أن يترك وراءه أثرًا واحدًا يُذكر.

-مش قلتلك يا وسام بقالي سنين بخطط وبتدرب.... أنا عارف طبعا أن ملكيش ذنب بس أبوكي ساب مراته وبنته يدمروني بكل الطرق، ومحاولش حتى يوقفهم عند حدهم أو يقولهم عيب، أو يمنعهم من تدميري زي ما دمروا عيلتي، للأسف الموت خطف أبوكي قبل ما أدفّعه الثمن .....بس انتي موجودة، لازم تدفعي الثمن.

ارتجفت وسام من الخوف والرعب وهى ترى نهايتها تقترب أكثر وأكثر، انسابت الدموع حارقةً من عينيها ولم تستطع أن تتفوه بكلمة واحدة.

وصل إيهاب وطارق ومعهم قوة من الشرطة للمنزل المنشود، وبهدوء شديد فتحوا الباب دون إصدار أي ضوضاء، اقتحموا الدور الأول وبحثوا بين غرفه المتعددة دون جدوى عندما جذب انتباه طارق سهم مرسوم بالدماء في اتجاه القبو بجانب المطبخ، توجهوا جميعًا بهدوءٍ حذرٍ نحو السلالم المؤدية للقبو، وفى خطوات خفيفة كأنهم طيور، هبط الجميع في اتجاه السهم على السلالم الخشبية المتهالكة عندما أتى إلى مسامعهم صوت رصاصة انطلقت، فاندفعوا جميعا تجاه باب القبو وقاموا بكسره ليروا آخر مشهد كانوا يتوقعون رؤيته.

الفصل السادس عشر

صوت طلقة تخترق الآفاق.....

انتفضت وسام في جزعٍ ورعبٍ بعدما أطلق أحمد طلقة فارغة من مسدسه في الهواء، لكنه انفجر ضاحكًا على رعبها وانتفاض جسدها واستطرد في هدوء بعدما هدأت ثورته الجنونية:

-أنتى متخيلة يا وسام أني هقتلك بجد من غير ما أقولك كل اللي عندي؟

فتحت وسام عينيها شديدة الأحمرار من شدة البكاء، ليقترب منها أحمد بوجهه ويستطرد في هدوءه المشوب بالجنون:

-أنا يا وسام أحمد أخو ليلى الكبير و .....

*****

اقترب إيهاب وطارق من مدخل القبو في سرعة عندما صدمهم ما رأوه وجعلهم يتوقفون في دهشة ورعب من هول المنظر، ففى منتصف سقف القبو يتدلى جسد تم شنقه واقتلاع قلبه من مكانه، جسد تم طعنه عدة طعنات متفرقة حتى

صار الدم ينزف منه كشلال من المياه الغزيرة، جسد تم أخفاء وجهه بقناع ورقى مكتوب عليه كلمات غير واضحة من بعيد، وعلى بطنه توجد صورة تجمع بين شاب وفتاة كانا في بدايات مرحلة الشباب، وعلى وجههم ترتسم البسمة وعيونهم تنطق حبًا وسعادة.

اقترب إيهاب في بطءٍ من الجسد المتدلي وبحذرٍ نزع الغطاء، وكانت المفاجأة، أنه تامر خطيب منة السابق، اقترب طارق من إيهاب ليرى علامات الفزع والخوف على وجه تامر محفورة في ثنايا وقسمات وجهه تدل على الرعب الذى مر به قبل قتله بهذه الطريقة البشعة، زفر طارق في قوةٍ وهو ينظر لإيهاب الذى كان مشغولاً بقراءة ما كُتب على القناع بدماء تامر.

-أنا مش عارف ازاي فلت من مراقبتنا وقدر يقتل تامر! لولا الجيران سمعوا خبط ورزع واتصلوا بالشرطة مكناش اكتشفنا الجريمة!!

نظر له إيهاب في سرعةٍ ودون الخوض تفاصيل كثيرة بادره بالحديث:

-المهم نلحق وسام، أحمد خطف وسام وسايبلنا عنوانه!!

-إيه؟ وإيه الصورة ديه؟ مين دول؟!!

نزع طارق الصورة الموضوعة على جسد تامر وتأملها ليضع ثوانٍ، كانت الصورة تجمع بين شاب يحتضن فتاة في حب واضح ويقوم بتقبيلها وهو يلبسها خاتم فضة على شكل وردة، كان من الطبيعى أن تكون الفتاة ليلى ويكون الشاب تامر، لكن ما فاجأ إيهاب وطارق بشدة وجعله غير مدرك لما يحدث أن الفتاة

كانت.....منة والشاب هو.....

*****

-عارفة أنا مين يا وسام!!.....أنا أبقى حبيب أختك الأولاني، أختك اللي عملت المستحيل وهى عندها ١٦ سنة عشان أبصلها، كانت بتيجي بيتنا مخصوص وتفضل قاعدة قدامي تحاول تكلمني وتلفت انتباهي لحد ما حبتها، وأنا حبيتها قوي منكرش، كنت بعمل أي حاجة عشان أسعدها، ولولا إني سافرت أدرس برة كنت خطبتها.....تصدقي أن أنا كنت عاوز أخطب أختك؟ طول ما أنا برة كنت بفكر فيها وبحلم بيها عمري ما بصيت لواحدة غيرها، حتى لما سافرت مع أبوها وأمها فضلت تكلمني وتتواصل معايا عشان تفضل معلقاني بيها، حتى في الصيف سافرت لها عشان أشوفها وكانت بتعمل المستحيل عشان أفضل أحبها ومبصش لبنت غيرها، أختك أدتني جسمها، أنا أول واحد ياخدها عشان تخليني أفضل متعلق بيها، ولما سافرت أدرس برة، وشافت تامر عينها زاغت عليه ورمتني وراحت للكلب ده، مش بس كدة ده حتى الخاتم الفضة اللي كنت جايبهولها هدية اديتهوله عشان يقدمه لأختي على أنه هدية منه... تصدقي؟

وقف أحمد أمام وسام التي اكتسى وجهها بالأسى والحسرة والألم من أجله وشلالات الدموع تنهمر من عينيها وهى تسمع ما قامت به شقيقتها والتي لم تكن تتوقع أن تكون بهذا الكم من الشر والقسوة والانحلال والفساد معا.

-أنا أسفة.....:حقيقى أسفة!!

اقترب أحمد بوجهه من وجه وسام، ولأول مرة ترى وجهه بوضوح من وراء سحابة دموعها، وجه حفر الحزن والألم في معالمه بقسوة، عينان خيم الظلام والقسوة عليهما وأضاعوا بريق الحياة بهما، استطرد أحمد بصوت حزين متألم:

-متتأسفيش يا وسام! أنا من خلال مراقبتي ليكم السنين اللي فاتت اكتشفت انك أحسن واحدة فيهم .....على فكرة أنا مش جايبك هنا عشان أقتلك لأ! أنا جايبك هنا عشان تكوني شاهدة على قصتي، عشان أنا عارف انك أمينة وهتقولي الحقيقة، قولي للناس اني متحولتش لوحش غير من ظلمهم وأفعالهم، كل اللي عملته كان رد فعل يا وسام مش أكتر من رد فعل.

قالها أحمد ودمعة حارة انسابت من عينيه، رفع فوّهة مسدسه وصوّبه تجاه رأسه، ارتجفت وسام وارتعدت من الخوف وظلت تردد في إصرار:

-أرجوك متعملش كدة أرجوك!

لكنه لم ينتظر توسلاتها وأفرغ محتويات مسدسه في رأسه معلنًا نهاية حياته بشكل مأساوي، حياة شاب كان في السابق طبيبًا ناجحًا أحب فتاةً، وتمنى أن تكون له، لكنه لم يعلم أنها شيطانة في ثوب أنثى؛ اغتالت أحلامه، ودمرت حياته وحولته لوحش كاسر، لا يفكر في شيء سوى الثأر لنفسه ولأهله ولشقيقته البريئة ولمستقبله الضائع.

أطلقت وسام صرخة مدوية عند رؤيتها الدماء تنفجر من الثقب الذى أحدثه المسدس في رأس أحمد تزامنًا مع وصول طارق وإيهاب وقوة الشرطة الذين

اقتحموا الفيلا في سرعة عند سماعهم صراخ وسام الهيستيري ليتفاجأوا بجثة أحمد بجانبه مسدسًا وضع للتوّ كلمة النهاية لشاب دمره جبروت فتاةٍ لم ترحم أحدًا على الإطلاق في حياتها.

الفصل السابع عشر

خرجت أماني من سراي النيابة بعدما تم الإفرج عنها عقب انتحار أحمد وإدلاء وسام لشهادتها أمام النيابة بكل ما حدث وما سمعته من أحمد من اعترافات بأنه قاتل شقيقتها، مع مطابقة أقواله واعترافاته مع تقارير الطب الشرعي، خرجت وهى لا تكاد تصدق أن الله نجّاها من حبل المشنقة، لكن حزن قلبها طغى كثيرًا على سعادتها بخروجها آمنةً من هذه القضية، فمن أحبته أكثر من نفسها وحلمت بتكوين عائلة جميلة صغيرة معه مات، بل اكتشفت أنه قاتل صديقتها التي كانت تبغضها كثيرًا لكنها لم تتمنَّ موتها أو تمنته لكن كانت تريد أن يكون بعيدًا عنها.

كم تشعر بالدمار والضياع بعد فقدانه، فقد كان بالنسبة لها حبل النجاة من الدمار الذى قامت به منة في حياتها، خرجت أماني والأفكار والمشاعر تتصارع بداخلها لتُفاجأ بإيهاب واقفًا أمام سيارته ينتظرها في صمتٍ وعلى وجهه أمارات الجديّة والحزم، اقترب منها مبتسمًا واستطرد برقة حاسمة:

-كفَّارة يا أماني! حمدلله على سلامتك!!

-الله يسلمك يا سيادة المقدم! مكنتش متوقعة اني هلاقي حضرتك منتظرني هنا!

ضحك إيهاب بهدوء وهو يفتح لها باب السيارة لتصعد بها:

-عارف! أنا بس عاوزك في موضوع مهم.....مش هياخد من وقتك كتير.

هزت أماني رأسها في موافقةٍ صامتةٍ فقد شعرت بأن المقدم إيهاب لن يسمح أبدا بكلمة لا، وهى لم تكن تقوى على قولها بكل الأحوال، فقد كانت منهكةً لأقصى درجة، صعدت أماني في السيارة باستسلام تام وصعد إيهاب بجانبها وانطلق في هدوء.

أوقف إيهاب سيارته أمام مقهى راقٍ في حي التجمع الخامس بجانب منزل أماني، ودعاها لتناول كوب من القهوة، وافقت أماني وهي تتساءل داخليًا عما يريده منها؟

جلسَا على مائدة بعيدة قليلاً عن الناس حتى لا يسمع أحد حديثهم وبعد أن أبلغ إيهاب النادل بالطلبات وانتظر رحيله بدأ إيهاب حديثه في هدوء:

-أماني! انتي قلتي ان منة كانت دايمًا بتهددك عشان تخليكي تحت رحمتها، ياترى كانت بتهددك بإيه؟!!

توترت أماني وهى ترى إيهاب يحاول استخلاص أبشع أسرارها وأشنع مخاوفها على الإطلاق، لكنها بالرغم من كل شيء حاولت المراوغة لعلها تفلت منه:

-يعني عشان كنا بنسهر في نادي Columbus وبنسكر وناخد مخدرات وكدة.

نظر إيهاب في عينيها نظرةً مباشرةً قويةً لا تحتمل اللف والدوران:

-أماني! انتي من يومين كان حبل المشنقة هيلفّ حوالين رقبتك، لولا ستر ربنا كنتي انتي اللي هتشيلي القضية، أنا مش بقول كدة عشان أهدّدك، بس أنا متأكد أني لو دوَّرت وراكي هلاقي ماضي.....مليان، فيُستحسن انك تصارحيني بالحقيقة، اعتبريها فضفضة أو اعتبريها تكفير ذنوب عشان تبتدي صح المرة دي، إيه رأيك؟ نمشيها ودّي ولا ابتدى تحرياتي بشكل رسمى وإلى أكيد هيطلع بلاوى كتير؟

نظرت له أماني ولم تجبْ، فقط أغمضت عينيها وبكت كما لم تبك سابقًا، تركها إيهاب تفرغ كل ما بداخلها حتى فتحت عينيها، وبصوت مبحوحٍ بدأت تروي له كل شيء:

-أنا هقول لحضرتك على كل حاجة....بس مش عشان انت ظابط، لكن عشان أنا تعبت ومبقتش قادرة أخبي أكثر من كدة.

-وأنا سامعك يا أماني اتفضلي!!

تذكرت أماني هذه الليلة كأنها بالأمس، ليلة غيرت الكثير فى شخصيتها وقلبت حياتها مائة وثمانون درجة، ليلة حولتها من فتاة مرحة لفتاة خانعة تابعة لشيطانة لا تعرف الرحمة أو تقدر الحب والتواصل الأنسانى. فعلى مدار خمس سنواتٍ

كاملةٍ لم يمر يومًا واحدًا على أماني لم تتذكر فيه ريم صديقة عمرها وزميلتها في المدرسة والجامعة، فقد تعرفت أماني وريم على منة في سنة أولى جامعة، وسريعًا توطّدت العلاقة بينهم بشكلٍ كبيرٍ وصاروا لا يفترقون، يخرجون سويًا، يذاكرون سويًا، ويقضون أغلب أوقاتهم معًا، إلا أن ريم كانت تختلف عنهم بأنها لا تشاركهم السكر والمخدارت، فهي ليست مثل أماني التى انساقت سريعًا وراء مُغريات منة وخطيبها، وهو ما جعل منة تغضب منها قليلاً ولكنها لم تعطِ الأمر أهمية كبيرة حتى جاء اليوم الذي لمَّح فيه تامر بإعجابه بريم وبأخلاقها التى لم تتأثَّر بالمؤثرات المحيطة بها، وبدأ يتقرب منها تدريجيًّا، لم تعرّه ريم أيّ أهمية، وكانت تحاول دائمًا صدّه؛ فقد كانت شديدة الوفاء لصديقتها العزيزة منة، بيد أنها لم تكن تعلم أن نهايتها ستكون على يد من أخلصت لها.

زاد تامر من محاولات التقرب لريم وزادت الغيرة والحقد في قلب منة حتى جاء اليوم الذى قررت فيه التخلص من ريم إلى الأبد.

كانت منة لا تتوارَى عن التخلص من أيّ انسان يحاول الاقتراب مما تملكه حتى ولو كان ما تملكه هو من يسعى لغيرها لكنها كانت شديدة البأس، أنانيّة بشكل جنونيّ لقد كانت بالفعل شيطانةً لا تعرف الرحمة أو العطف.

وفي يوم كانوا يسهرون فيه كعادتهم أقنعت منة خطيبها تامر وصديقتها أماني بعمل مقلب في صديقتهم ريم لإضفاء نوع من الفكاهة والمرح للحفل، وافقوا وهم لا يتخيلون أن المقلب سيحوّل حياتهم إلى جحيم ويحرمهم من صديقتهم التي وثقت بهم ولم تكن تعلم أنهم سيخونون ثقتها، كان المقلب عبارة عن وضع

قطعة صغيرة من مخدر الحشيش بعد طحنه في عصير البرتقال والذي لم تكن ريم تتناول غيره، لتشربه وتبدأ بعد ذلك في التحدث كالسكارى وتفقد الوعي، ومن هنا تزداد الفكاهة والمتعة بالحفل.

وافق تامر سريعًا على اقتراح منة، غير أن أماني ترددت قليلاً خوفًا على صديقتها التي لم تتناول من قبل أي نوع من الخمور أو المخدرات، لكن منة استطاعت إقناعها بأنها تعي ذلك تمامًا وستضع قطعة صغيرة جدًّا فقط من باب اللهو والمزاح؛ وللأسف وافقت لأنها لم تكن تعلم بنيّة منة الخبيثة للتخلص من صديقة عمرها، ولأنها أيضًا كانت مخمورة مثل تامر وليست في كامل وعيها وهو ما استغلته منة أبشع استغلال خاصة أنها الوحيدة التي لم توافق على شرب كؤوس الخمر أو مشاركتهم تدخين سجائر الحشيش حتى تظل بكامل وعيها وتستطيع تحقيق غرضها الشيطاني.....القاتل.

أحضرت أماني عصير البرتقال وأحضر تامر قطعة الحشيش بعدما أكّد على منة وضع جزء صغير فقط، حتى لا يحدث لها أيّ مضاعفات خاصة أنها مبتدئة ولم يسبق لها تجارب في تناول المخدرات، وافقته منة مؤكدةً بأنه لا داعي للخوف فهي لن تسعى لقتل صديقتها الحبيبة؛ إنها فقط تريد اللهو والضحك، نفّذت منة مخططها الإجرامي، ولكنها لم تكتف بوضع قطعة من الحشيش فقط بل وضعت القطعة كاملة بعدما قامت بطحنها مع بعض حبوب الترامادول وحبوب الهلوسة، وقامت بوضع الخليط كله في كوب العصير وأعطته لريم التي تناولته دون أن تعرف أن نهايتها ستكون مع الرشفة الأخيرة منه، بعد أقل من

عشر دقائق بدأ مفعول الخليط القاتل في العمل وبدأت في الشعور بهبوطٍ حادٍ وعدم اتزان، بدأت تتهاوى وتترنح والجميع يضحك ظنًا منهم أن هذا من تأثير قطعة الحشيش الصغيرة، حتى سقطت ريم أمام ضحكات الجميع، سقطت جثةً هامدةً لا نبض فيها وتوقفت ضحكات الجميع إلا ضحكة واحدة ..... ضحكة منة.

هرب الجميع ليُنقذ نفسه من المسؤلية إلا تامر وأماني اللذان عقدت الصدمة لسانهما عن الكلام ومنعتهما من الحركة، وظلوا يسألون منة ماذا وضعتِ لها؟ ولكنها لم تجبّ فقط كانت تؤدي دورها المتقن حتى النهاية فأقنعتهم بوجوب نقلها للمشفى لعلهم يستطيعون إنقاذها، بالرغم من أنها كانت تعلم جيدًا أنها ماتت لكنها استغلت حالة الذهول والصدمة، بالإضافة إلى أنهما كانا في حالة سكر شديدة تمنعهما من التفكير جيدًا، فصدقوها وحملوا جثة ريم لنقلها إلى المشفي ولم يلاحظا أنها استطاعت تصويرهما وهما يحملان جثة ريم في سيارة تامر.

ظل تامر يسألها ماذا وضعتِ لها في المشروب وهل نفذت ما قاله لها أم لا؟ فقالت له منة الحقيقة وهنا عرف كلا من أماني وتامر أن ريم لا يمكن أن تنجو من هذا الخليط أبدا وإذا ذهبا بها للمشفى سيُلقى القبض عليهما فورا، وهنا قرر تامر إيقاف السيارة وترك ريم في الشارع إلا أن أماني ظلت تبكي وتصيح فى محاولة يائسة منها أن تجعل تامر يعدل عن قراره في ظل صمت منة التي وقفت تشاهد الأمر في صمت مستمتعة بما تراه، إلا أن تامر صمم على موقفه

وأقنع أماني أن هذا لمصلحة الجميع وهي أولهم.

وافقت أماني والدموع تملأ عينيها على إلقاء جسد صديقتها الوحيدة على قارعة الطريق، حاول تامر حمل جسد ريم وحده لكنه كان مخمورًا ومتوترًا فلم يستطع حملها وحده، طالب مساعدة منة فتحججت بأنها تشعر بألامٍ مبرحةٍ في جسدها ولن تقوى على حمل صديقتها معه، فأمر أماني بمساعدته وأزعنت أماني لأمره مما دعا منة إلى انتهاز الفرصة مجددًا وقامت بتصويرهما وهما يحملان جسد ريم ويلقيانه على الطريق.

ماتت ريم وحفظ أهلها التحقيق منعا للفضيحة لأنهم اعتبروها فتاة طائشة ماتت من جرعة مخدرات زائدة أدت إلى حدوث هبوط حاد في الدورة الدموية لديها وأنها نالت جزاء طيشها وتهورها، لم يعلموا يوما أنها ضحية فتاةً انحنى الشيطان أمام قسوتها وسواد قلبها.

أنهت أماني سرد روايتها ونظرت لإيهاب الذي لم يعد يعرف بماذا يجيب هؤلاء الشباب، فما من شيء لم يقوموا به؟ فقد قاموا بالفعل بكل شيء فاسد وعفن، سكر، تعاطى، جنس، قتل، كل شيء دون استثناء.

أومأ إيهاب برأسه في استسلام واستطرد بصوتٍ هادئ:

-أماني!.....قضية ريم صاحبتك الله يرحمها اتقفلت واللي قتلتها ماتت واللي رمى جثتها كمان مات..... بس أعتقد صاحبتك وأهلها ليهم حق عليكي أنك تروحي وتحكي لهم الحقيقة، ليهم حق إنك تبرئي بنتهم من التهمة اللي

ملهاش ذنب فيها.

-عندك حق

قالتها أمانى ودموعها تنهمر ببطء على وجهها، قام إيهاب متأهبًا للرحيل بعدما ترك حساب الطاولة وقبل أن يرحل استدار موجهًا حديثه لأماني:

-أعتقد يا أماني ان ربنا ادى لك فرصة ذهبية مدّهاش لتامر ولا لأحمد وهو أنك تراجعي نفسك وتفوقي لروحك وتختاري حياة أحسن وأرقى من كدة لنفسك.

انفجرت أمانى في بكاء حادٍ واستكمل إيهاب حديثه في رقة:

-أتمنى أشوفك في وضع أحسن ان شاء الله ولو احتاجتي حاجة كلميني أنا زي أخوكي الكبير هتلاقيني دايما جنبك.

قالها إيهاب ورحل تاركا أمانى تبكى لتغسل هموم روحها المثقلة بالعفن وتحاول البدء من جديد، تُرى هل ستسامحها الأيام على ما اقترفته في حق نفسها وحق صديقتها؟ أم أن الأيام لازالت تخفي لها الكثير.

الفصل الثامن عشر

فى مقهى ليالى زمان الراقى في قلب المعادي، أسترخى إيهاب فى مجلسه مستمتعا بنغمات عبد الحليم الجميلة المتسللة فى عذوبة عبر المذياع العتيق القابع فى واجهة المقهى، أنتقى إيهاب لنفسه طاولة فى ركن هادىء من المقهى ليتابع الشارع من بعيد، شعر معها أنه ابتعد كثيرا عن الحياة والدنيا بل وصل به الأمر أن شعر أنه خارج نطاق الزمان والمكان، منتقلا من حقبة الحاضر التى صار يكرهها بسبب ما يشاهده يوميا من مأسى لحقبة الماضى الجميل التى كان يحلم أن يولد بها ويحيا فيها من خلال ديكور المقهى الجميل والمبدع على طراز الستينات برونقها وجمالها الخلاب، كان إيهاب يضع السكر في قهوته وبين الحين والآخر يراقب مدخل المقهى منتظرًا وصول وسام التى لم تجعله ينتظر كثيرًا، فبعد عدة دقائق، دخلت وسام مرتدية بنطالاً من الجينز الأزرق وقميصًا أبيض حريريًا تاركة لشعرها العنان ينسدل في بطءٍ على كتفيها:

-أسفة أتأخرت عليك؟

-لأ أبدا! أنا مبقاليش كتير تحبي تشربى إيه؟

-أي حاجة.....لو ممكن عصير فروالة.

نادى إيهاب على النادل وأملاه طلبها ثم استدار لها مبتسمًا:

-بصراحة أول مرة أشوفك كدة، حاسك لأول مرة مرتاحة!

-ياااه! الحمد لله! الشهرين اللي سافرت فيهم عند خالتي ارتاحت فيهم كتير بالذات بعد اللي حصل أنت عارف طبعًا.

-عارف.....أنا بس عندى خبر مش لطيف؟

ابتسمت وسام في رقةٍ واستطردت:

-خير!

تنهد إيهاب ونظر لها نظرة استحياء:

-انتي عارفة أن منة كانت ديلر للمخدرات وان معظم ثرواتها جاية من المخدرات...

-أيوة عارفة!!

زَفَرَ إيهاب في قوةٍ واستكمل حديثه:

-من الأخر المحكمة صادرت أموال منة بالكامل باعتبار انها أموال مخدرات بما في ذلك الفلوس اللي ورثتها عن والدك.

تغير لون وجه وسام بضع دقائق ثم استطردت في سرعة:

-أيوة!! بس القضية كانت قضية قتل مش مخدرات.

-ده صحيح بس المكافحة كانت بتراقب منة من زمان ومقدروش يقبضوا عليها عشان رجل الأعمال اللي وراها لكن بعد ما ماتت رفعوا طلب للمحكمة واتقبل وتمت الإجراءات.

ابتلعت وسام ريقها بصعوبة:

-طيب أنا مينفعش أطعن وأقول أن أختي زوّرت وخدت ميراث بابا؟؟؟

هزّ إيهاب رأسه نافيًا:

-للأسف لأ لعدة أسباب: أولاً مفيش حاجة تثبت التزوير؛ العقود اللي والدك مضى عليها سليمة مية في المية وأنا اطّلعت عليها بنفسى، ثانيا انتي ممكن ترفّعي قضية فصل بين ورث والدك وفلوسها هي؛ بس عشان تثبتي أصلاً أن ورث والدك مش من فلوس المخدرات انتي عاوزة معجزة لأن أصفر محامي هيقولك وانتي تعرفي منين؟ ما يمكن أختك هي اللي اديته الفلوس دي عشان تعمل تمويه يعني..... من الأخر صعب جدًا

هزَّت وسام رأسها في استسلامٍ تامٍ ومنعت هبوط دمعة حارةٍ أرادت التخلص من محبسها واستطردت كلامها مع ابتسامة حزينة ارتسمت على قسمات وجهها:

-وده ينطبق على الفيلا كمان؟

أومأ إيهاب برأسه دون أن يتفوه بكلمة، فهو يشعر بما يعتمل في صدرها من ألمٍ

وخوفٍ من المستقبل، فهي فتاة وحيدة بدون أب ولا أم ولا منزل ولا مال ولا عمل، كيف ستحيا؟ ولمن ستلجأ؟

-وسام! ممكن أتكلم معاكي بصراحة؟!!

نظرت وسام له وبصوت مبحوحٍ أجابته:

-أتفضل

-أنا عارف أن احنا منعرفش بعض قوي واتقابلنا في ظروف سيئة، لكن أنا مش هنكر اني مُعجب بيكي.....

-إيهاب!!.....

-سيبيني أكمّل من فضلك! أنا معجب بيكي بس مش بطالبك بشيء كل اللي بطلبه ان احنا نكون أصدقاء، أنا .....وحيد، أبويا مات وأنا صغير وأمي ماتت من سنتين، وأختي الكبيرة متجوزة ومهاجرة لأمريكا مع جوزها، وأنا مليش حد في حياتي غير صاحبي طارق اللي انتي تعرفيه وأهوه بعد القضية ربنا هداه وسمع كلامي وصالح مراته وانشغل في حياته.....أنا كل اللي بطلبه منك نكون أصدقاء، تسألي عليَّا وأسأل عليكي، نعرف بعض لو حصل وأُعجبتي بيَّا وارتحنا لبعض يعني.....ممكن ساعتها مثلا نتجوز.....لو محصلش أهو نكون أصدقاء كويسين في حياة بعض؟ ممكن؟

التزمت وسام الصمت؟ فهى أيضًا وحيدة لا أب لها ولا أم ولا أشقاء ولا أصدقاء، فاضت أرواح كل أحبائها إلى بارئهم، هي أيضًا في حاجة لصديق ولا تنكر أنها

تشعر بانجذاب تجاه إيهاب فهو شاب مهذب ورجل قوي ساعدها في أزمتها ولم يتخلى عنها أو يقسو عليها، استجمعت وسام قُواها وقالت:

-أنا هكون صريحة معاك: أنا كمان معجبة بيك.....بس.....مش لدرجة الحب، وبصراحة مش قادرة أفكر في حب أو غيره وأنا أصلاً مش عارفة هبات فين؟ أنا لا معايا فلوس ولا عندي بيت ولا شغل، حياتي مقلوبة، محتاجة وقت أظبط حياتي قبل ما أفكر في أيّ شيء.

تنهَّد إيهاب في شيء من الارتياح لدى سماعه ما تفوهت به وسام للتو وأخرج من جيب بنطاله مفتاحًا وضعه أمامها واستطرد حديثه:

-أنا مش عاوز في المرحلة دي أكثر من كدة؛ ان احنا نكون أصدقاء، بصي ده مفتاح شقة كانت بيتنا القديم، شقة بقالها زمن مقفولة بس هتوفي بالغرض.

-لأأأأأ.....

-مفيش لأ! مش هسيبك تباتي في الشارع وأنا عندي شقة مقفولة محدش بيستعملها، ده المفتاح الوحيد لها، عيشي فيها وياستي لما تشتغلي ابقي ادفعيلي إيجار رمزي.

-اااااا

-مفيش اااااا يلا نروح الفندق نجيب هدومك ونطلع بعد كدة على الشقة.

-أيوة بس فيه حاجات ليَّا بردو في الفيلا عاوزة أروح أجيبها وفيه كتب بابا، أنا

هروّح دلوقتي الفيلا أجيب بقية حاجاتي وأطلع بعد كدة على الفندق، وانت ممكن تيجيلي بعد كدة ننقل الحاجة كلها مرة واحدة.

-ماشي أجي معاكي الفيلا!

-مفيش داعي! أنا محتاجة أرُوح لوحدي

هزَّ إيهاب رأسه متفهمًا واستطرد حديثه في هدوء:

-زي ما تحبي! بلا أوصّلك هناك وبعدين أمشي

-إيهاب!

-أيوة!!

-شكرا! حقيقي معنديش أكثر من شكرًا عشان أقولهالك.

ابتسم لها إيهاب برقةٍ ولم يعقّب، فهي لا تعرف كم أسعدته موافقتها على صداقته وهو الذي يقاسي من الوحدة من سنين طويلة.

أوصلها إيهاب بسيارته أمام الفيلا التى صارت مهجورةً بعد مقتل شقيقتها، ورحل بعدما تأكد أنها ستكون بخير على موعد لقاء بالفندق مساءً، دخلت وسام الفيلا التي عاشت بها أكثر من خمس سنوات بخطى بطيئة وهى تتذكر أحداث الشهور الماضية بأسى وألم.

توجهت وسام لغرفتها أخرجت حقيبة سفرٍ كبيرةٍ كانت تضعها فى ركن بعيد بجانب المكتب وضعت بها ما تبقى من ملابسها وأشياءها الخاصة ثم أغلقتها

وتوجهت لغرفة مكتب أبيها أخرجت صندوقًا كرتونيًا كبيرًا وبدأت في وضع كتب مكتبة أبيها فيه، ومع كل كتاب كانت تتذكر وقت قراءتها له واعجابها به، فهذه هي ثروتها الأن ولن تتخلى عنهم مهما حدث.

أنهت وسام ترتيب الكتب في الصناديق حتى جذب انتباهها كتاب قديم وجدته في آخر رف في مكتبة أبيها من الداخل، تناولته بلهفة وهى لا تكاد تصدق أن والدها احتفظ بهذا الكتاب طوال السنين الماضية، كتاب حكايات كليلة ودمنة التى كانت تعشق سماع قصصه من والدها كل ليلة قبل أن تخلد للنوم، انسابت الدموع في بطء على وجنتيها وهى تحتضن الكتاب وتشم رائحته الذكية وتتذكر أجمل أيام طفولتها قبل أن يطلّق والدها والدتها وتنهار حياتها للأبد.

ظلت وسام تحتضن الكتاب وتتفحصه حتى سقط منه شيئًا أثار ريبتها، ظرف مكتوب عليه:

"إلى عصفورتي الصغيرة"

عصفورتي الصغيرة هذا الاسم الذي كان والدها يطلقه عليها دائمًا في طفولتها، أهذه الرسالة موجهة لها؟

جفّفت وسام دموعها في سرعة وبيد مرتعشة فضّت الظرف لتجد بداخله رسالة مكونة من خمس صفحات كبيرة، تناولتهم في لهفةٍ وبدأت القراءة:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابنتي الحبيبة، قُرة عيني، عصفورتي الصغيرة وسام:

أعلم أنك ستندهشين كثيرًا لرسالتي هذه، ولكنني يا عزيزتي لم أجد وسيلة غير هذه حتى أستطيع البوح لك بأسراري الكثيرة، فأنا يا عزيزتي لا أستطيع التحدث إليك وجهًا لوجه، بالرغم من اننا نحيا في منزلٍ واحدٍ حتى لا يعلم أحد ما أقوم بتخطيطه لأجلك، ستسألينني لماذا لا أستطيع التحدث معك بحرية؟ وسأجيبك بأنني مُراقب، نعم يا بنيَّتي الصغيرة أنا مُراقب، مُراقب من شيطانة أنجبتها من صلبي وربيتها في بيتي وأعطيتها كل ما كانت تحلم به وأكثر، لم أحرمّها شيئًا ولم أعنِّفها يومًا أو أقسو عليها لكنها للأسف أصبحت مثل أمها ناكرة للجميل، فتاة لا تستحق الحب الذى أُغدقتها به.

لقد جعلت ناهد وحسين اللذان يعملان لديَّ منذ سنوات عدة يقومون بالتنصّت عليّ ومراقبتي ليل نهار حتى لا أقوم بعمل شيء ضد رغبتها، لعنة الله عليها، لكن لا يهم هذا الآن، فما مرّ مر وانتهى، كل ما أتمناه هو أن تجدي خطابي هذا في الوقت المناسب".

وضعت وسام الخطاب جانبًا للحظاتٍ وهى لا تستطيع السيطرة على دقات قلبها التى تنطلق في سرعة محدثةً دويًّا عنيفًا داخل صدرها، تذكرت عندما كانت برفقة والدها في المستشفى في أيامه الأخيرة بعدما أعلن لهم الطبيب أن والدها ينتظر الموت في أي لحظة، فقد انتشر المرض بوحشية وسرعة رهيبة في جسده، كان لا يستطيع التحدث وبالكاد يستطيع التنفس، كانت تجلس بجانبه تقرأ له القرآن في هدوء، تذكرت الآن وسام عندما فتح عينيه في صعوبة وبصوتٍ حزينٍ مرهق من المرض أوصاها بالمكتبة والكتب وظل يؤكّد عليها أن لا

تسمح لأحدٍ بدخول المكتبة غيرها، وأنها يجب أن تهتم بنفسها بالكتب الموجودة في مكتبته، لم يستطع الإفصاح عن مكنون صدره لوجود ناهد في الغرفة بأمرٍ من منة التي لم تكن تأتي لزيارته قط، ولكنها وضعت بدلاً منها جاسوسة تنقل لها كل ما يحدث بالتفاصيل، للأسف وسام نسيت هذا الحديث تمامًا مع موت والدها واهتمامها بالفسل والدفن وما تلا ذلك من أحداث.

"يا الله!! ازاي نسيت؟ ازاي؟"

أمسكت وسام الخطاب في لهفة وبدأت في استكمال القراءة وهى ترجو الله أن يظل قلبها مكانه ولا ينفجر الآن.

" دعيني يا حبيبتى الصغيرة أروي لك قصة قصيرة عن حياتي لتعلمي حقيقتي التى حاولت كثيرًا إخفاءها عنك لحمايتك، لا قسوة مني كما كنتِ تعتقدين.

لقد تزوجت يا بنيتى الحبيبة والدتك رحمة (رحمة الله عليها) بعد قصة حبٍ عنيفةٍ امتدت عدة سنوات تخللتها العديد من الصعاب والمشاكل والأزمات، وقفَت فيها هي بكل وفاء وحب وعزيمة منها معي حتى تجاوزناها جميعًا بنجاح وتزوّجنا وأنجبنا أجمل وأرق طفلة رأتها عيني أسميناها "وسام" وكانت هي بالفعل وسام لرقى حبنا وصفاء قلوبنا وعذوبة مشاعرنا.

عشت أنا ووالدتك وأنت يا صغيرتى بضع سنوات كانوا أجمل سنوات حياتي على الأطلاق، كانت والدتك فيهم مثالاً للزوجة الصالحة المهذبة الوفيّة الراقية، لم تعص أمرًا لي يومًا، ولم تتذمّر قط من المسئولية، كانت تعشقني وأنا أيضًا كنت

ولازلت أعشقها، وأتمنى أن يعود بي الزمن لأجثو أمامها طالبًا الصفح والغفران.

حتى جاء اليوم الذى أتت فيه امرأةً فاسدةً للعمل معي بالبنك الذي كنت أعمل به وصدقيني يا بنيّتي لا أعلم كيف أغوتني هذه المرأة وأثّرت فيّ ولفت عقلي تمامًا، لم أفق من تأثيرها إلا وهي زوجتي وتحمل اسمى، للأسف.

حاولت كثيرًا التخلص منها بالطلاق ولأسباب لا أعلمها كنت أتراجع عن قراري حتى عرفت رحمة خبر زواجي عن طريق تلك الحيَّة وطلبت مني الطلاق، حاولت كثيرًا إثناؤها عن طلبها واعتذرت وتذلّلت، لكنها رفضت كل محاولاتي وكان لها كل الحق في ذلك، فأنا رجل خائن لم أقدر كل ما قامت به من أجلي وكم التضحيات التي قدمتها لتكون معي، وكان جزائي هو افتراقها عني إلى الأبد وحرماني منها ومنكِ يا حبيبة قلبى.

لن أقول لك كم تألّمت وتعذبت لفراقكِ وفراق رحمة، فلن تصدقينني ولكنني سأكتفي بأن أقول لك أن فور طلاقي من أمك أصبت بداء السكري من شدة حزني لفراقكم، وقتها قررت طلاق الشيطانة التي تزوجت منها وكانت السبب في خراب بيتي وحرماني من زوجتي الحبيبة وعصفورتي الصغيرة، لكنها فاجأتني بخبر حملها وصدقيني يا بنيتي أنا لا أعلم هل كانت تحمل في أحشاءها ابنتي أنا أم ابنة أحد آخر لكن وقتها صدقتها ولم يساورني شكٌ في أنها ربما تكون خائنة، وللأسف استمرت الحياة معها، لم أر يومًا هادئًا معها كانت دائمًا متطلبة أنانية سليطة اللسان أخلاقها سيئة كما لو كان الله سبحانه وتعالى يعاقبني على خيانتي لرحمة تلك المرأة الفاضلة التي كانت نسمة رقيقة في حياتي لم أقدر

قيمتها إلا عندما حُرمت منها.

كانت تلك الشيطانة دائمة التذمر، لا يعجبها أي شيء أقوم به مهما حاولت إرضاءها، كانت امرأة سيئة بكل معنى الكلمة شكلاً وموضوعًا وأخلاقا، كانت دائمًا تتعمد إغضابي بشتى الطرق كما لو كانت تجد متعة في ذلك، كانت ترتدي ملابس لا تليق باسمي وسمعتي كأنها عاهرة أو ما شابه، وعندما أعنّفها كانت تتهمني بالرجعية والتخلف، كانت تخرج يوميًا للسهر مع أصدقاءها أرباب الحانات وعند اعتراضي كانت تقول لى افعل ما شئت، حاولت كثيرًا أن أُثنيها عما تفعله ولكن دون جدوى، وما كان يبقيني عليها هو وجود طفلة بيننا لم أكن أريد لها أن تتربى على يد هذه الساقطة، فكنت دائمًا أحاول أن أعلمها محاسن الأخلاق، أقرأ لها القرآن وأُعلمها كيف تصلي ولكنني كنت مُخطئا فإذا كانت الأم شيطانة فماذا ستنجب؟ وبالفعل كبُرت الفتاة لتصبح مثل أمها في كل شيء، سُوء أخلاقها وسواد قلبها.

لقد حاولت كثيرًا أن أجعلها مثلك فتاة راقية مهذبة بارَّة بأهلها لكن للأسف الحية أنجبت أفعى صغيرة ظلت تنمو وتكبر وتترعرع حتى أضحت أفعى سوداء كريهة، أتعلمين يا بنيتي الحبيبة لقد شاهدت يومًا برنامجًا في التلفاز عن أفعى كبيرة تدعى "أناكوندا" هذه الأفعى هي الأكبر بين كل أنواع الأفاعي وتكمن خطورتها لا لأنها تبثُ سمومها في جسد ضحيتها فتقضي عليها في الحال مثلها مثل باقي الأفاعي، فهى لا تملك سمًّا ولكن تكمن خطورتها في أنها تلتف بجسدها حول فريستها حتى تتكسر عظامها تماما فتأكلها كأنها طبق من اللحم دون عظام.

يومها عرفت أنني أنجبت هذه الأفعى وقمت بتربيتها في بيتي، فقد كنت أُشاهدها وهى تكبر يومًا بعد يوم، منذ صغرها وهي فتاة غريبة، سيئة الخلق، أنانية بشكلٍ غريبٍ، عندما كانت تريد لعبة ما أو فستانًا جديدًا وأعارض لكثرة ما لديها بالفعل، كانت تفعل المستحيل لتحصل على ما تريد، وكانت والدتها تؤيد أفعالها وأنانيتها، حتى كبرت وصارت وبالاً عليَّ وعلى حياتي، اتفقت عليَّ هي وأمها وجعلا العاملين لديَّ بدءً من ناهد الخادمة وزوجها حسين حتى عم فتحي السائق، الجميع كان يراقبني، وعندما علمت بذلك وقررت أن أتخلص منها نهائيًا هي وابنتها صنعة الشيطان، قامت سلوى بتهديدي علنًا، لو كان التهديد خاص بي أنا، والله لم أكن لأهتم ولكنها قامت بتهديدي بك وبوالدتك، لم أكن وقتها أستطيع أن أخاطر بتعريضكُن للخطر، ألا يكفي حرماني منكُن، صمتٌ وانتظرت فرج الله القريب.

وقتها يا بنيتي علمت أننى يجب أن أحميك أنتي ووالدتك مهما كلفني الأمر، خاصة بعد ما فعلته ابنتي الأفعى في صديقة طفولتها "ليلى" ذلك الملاك البرىء سيء الحظ الذي قادته الأقدار ليُصادق تلك الشيطانة وتكون السبب في تدميرها وتدمير عائلتها بالكامل، لا تعتقدين يا بنيتي الحبيبة أنني لم أكن على علم بما قامت به هي والحية والدتها مع أخو ليلى وفى ليلى نفسها لكنهما هدداني صراحة بك إن لم أتنحَّ عن طريقهما فكان يجب أن أصمت وأُذعن وأنا أعلم في قرارة نفسي أنهما سيدفعان الثمن يومًا، وقد كان.

أتعتقدين يا بنيتي أن سلوى ماتت في حادثة قضاءً وقدرًا؟ لا لم تمت قضاءً وقدرًا

بل قتلتها الأفعى ابنتها بعد أن اكتشفت خيانتها لها مع تامر خطيبها الحقير، نعم لقد كانت سلوى على علاقة آثمة مع تامر خطيب ابنتها، لقد رأيتهما سويًا أكثر من مرة، لم أكن أتصور أن يصل بها الفجر لهذا الحد ولكن هذه هي ألاعيب الشيطان، فلماذا أندهش؟ لكن هذه المرة لم أصمت.

كان من الممكن أن أقتلها وتكون الجريمة دفاعًا عن شرفي، ولكن من قال أن هذه الساقطة تمثل عرضي وشرفي؟ لكنني في نفس الوقت لم أصمت، رسالة نصيةً صغيرةً بدون اسم لابنتي الأفعى كانت كفيلة بإنهاء الأمر وكأنه لم يكن.

عندما اكتشفت منة هذه العلاقة انتقمت أبشع انتقام منهما، فقد وضعت لوالدتها منوّم في العصير مخلوطًا بالخمر قبيل خروجها من المنزل بلحظات وقامت بقطع فرامل السيارة ورأيتها تفعل ذلك بأم عيني وصمتّ، تركت الخائنة تأخذ جزاءها بيد الأفعى التى أنجبتها وزرعت الشر والحقد بداخلها بالرغم من محاولاتي الكثيرة إبعادها عن محيط أمها الفاسد لكنها للأسف كانت متشبعةً به، وبالفعل انقلبت السيارة بسلوى وانفجرت على الطريق الدائري وماتت الحية وانتقمت الأفعى من خطيبها بوضع نوع من السموم أفسد كليته وكوَّن حصاوي بها كانت تريد موته لكن كان لايزال له عمر في الحياة، لكنني أتوقع أنها لن تتركه وستعاود الكرة مرة أخرى.

كنت أرى وأسمع كل شىء وأفكر فيك يا بنيتي، كنت أخاف عليك منهم، حتى اليوم الذى ضربتك فيه كنت أعلم أنهم يكذبون وكل ما يقولونه عنك افتراء وكذب، لكنني ضربتك وقلبى يبكي دمًا وأنا أرى دموعك البريئة ونظرات الخوف

تحتلّ عينيك منّي، كنت أتقطع داخليًا أريد جذبك في حضني وحمايتك في صدري ولكننى لم أستطع خوفا عليكِ من بطشهما.

ستسألنينى لماذا لم آخذك وأرحل بعيدًا بعد موت الحية؟ سأرد عليك في كلمة واحدة... المرض، أنا مريض يا حبيبتي الصغيرة، مريض بالسرطان، السرطان الذى صار يسبح في جسدى بحرية قاتلاً كل أملٍ لي بالحياة، لقد قال لي الأطباء أنني لن أحيا سوى بضع شهور معدودة، لا أريد أن أموت وأتركك وحيدة تواجهين تلك الأفعى وحدك، لقد قتلت والدتها فماذا ستفعل بك؟

لقد أجبرتنى على إمضاء عقود تنازل عن كل أملاكى لها بعدما اتفقت هي والمحامي الخاص بي نظير أن تعطيه مبلغًا كبيرًا من المال وجسدها فوق البيعة (ألم أقل لك أنني أعلم كل شيء) لقد اتفقَت مع المحامي على إجبارى على التنازل عن ممتلكاتي في سبيل مبلغ مالي وليلة حمراء معها، في المقابل تتركك تعيشين بسلام ودون أن يمسك الأذى من وراءها، ووافقت، وافقت لأجلك لا خوفًا على نفسي بل خوفا عليكِ أنتي.

لا تغضبي مني يا صغيرتي لأنني سأتركك دون مال أو بيت يحميك، لكن لا تقلقى أبدا، فقد قمت ببعض الترتيبات لحمايتك دون أن تعلم الأفعى أو المحامي الخائن.

أتتذكرين يا حبيبتى بيتنا القديم؟ ذلك البيت الذي تزوجت فيه أمك الغالية وأنجبتك به، هذا المنزل لازال موجودًا لم أقم ببيعه كما أوهمت سلوى، بل احتفظت به لأتذكر حياتي الجميلة مع والدتكِ ومعك، اذهبي هناك ستجدي كل

شيء، لقد لاحظت أنك لازالتى تحتفظين بمفتاح والدتك في سلسلة مفاتيحك اذهبي هناك يا حبيبتي وستجدين كل الخير."

طوَت وسام الرسالة وهي لا تكاد تصدق ما قامت بقراءته للتو، جفَّفت دموعها التى انسابت على وجهها بغزارةٍ متأثرةٍ بما قرأته للتو، ركضت نحو حقيبتها أفرغتها أرضًا حتى وجدت سلسلة مفاتيحها أمسكتها ووضعت الرسالة في حقيبتها وركضت لمنزل أبيها وأمها القديم، إنها تتذكر العنوان جيدًا فقد كانت أمها دائمًا تردد لها أنها عاشت بهذا المنزل أجمل أيام حياتها، وأنها كانت دائما تتمنى الرجوع إليه يومًا، خرجت وسام من الفيلا راكضة أوقفت تاكسي وأملته عنوانهم القديم:

"٨ شارع الياسمين القصر العينى"

بعد ساعة تقريبًا من القلق والتوتر وصلت وسام لمنزل والدها القديم، كانت شقة والدها ووالدتها في عمارةٍ قديمةٍ تتكون من خمس طوابق، في الدور الثاني، صعدت وسام السلالم راكضة وهى تتحسس الجدران القديمة وتتذكر طفولتها الجميلة، أخرجت المفتاح وفتحت باب الشقة الذى زمجر قليلاً مُحدثًا صوتًا قويًا فهو لم يُستخدم منذ زمنٍ بعيدٍ، دخلت وسام وأغلقت الباب بإحكام خلفها وأضاءت الأنوار.

وقفَت وسام أمام الباب تشاهد الشقة العتيقة التي كانت تتكون من ثلاث غرف وصالة ومطبخ وحمام، تتذكر ذكرياتها الجميلة وحياتها السابقة، كانت الشقة

مليئة بالأتربة والغبار في جميع أنحائها وعلى كل أثاثها لكن ما لفت انتباهها وجود ورقةٍ مطويةٍ على منضدة الصالون مكتوب عليها بحروف كبيرة وسام، أسرعت وسام لالتقاط الورقة، فتحتها وقرأت ما بداخلها في سرعة:

"أدخلي يا وسام أوضتي أنا ومامتك القديمة هتلاقي صندوق تحت السرير فيه كل حاجة، كل حاجة"

تفقدت وسام غرف الشقة حتى وصلت إلى غرفة أبيها ووالدتها بفراشها الكبير الوثير الذي كانت دومًا تقفز عليه لتنام بينهما في أحضان والدتها الطيبة، انحنت سريعًا تحت الفراش لتجد صندوقًا خشبيًّا صغيرًا أخرجته سريعًا ووضعته فوق الفراش؛ فتحته وجلست تشاهد محتوياته، كان أول ما قابلها رسالة أخرى من أبيها فتحتها وقرأت ما بها

" عصفورتي الصغيرة وبنيتي الحبيبة أتمنى تكوني وصلتي هنا بدون مشاكل ودون أن تدري الأفعى بذلك، ستجدي في هذا الصندوق عقد تمليك لهذه الشقة باسمك أنتِ بيع وشراء، أيضًا ستجدين رقم حساب شخصي سري في البنك الأهلي باسمك، وضعت لك فيه مبلغ مائتا الف جنيها، أعلم يا صغيرتي أنه مبلغ أقل بكثير مما كان من المفترض أن ترثيه بعد رحيلي، لكن هذا ما استطعت توفيره بعيدًا عن الحية وابنتها الأفعى.

سامحيني يا بنيتي الصغيرة على ما بدر مني تجاهك وتجاه أمك وادعِ لي بالرحمة عند موتي وأدعِ أيضا أن توافق أمك على مسامحتي وأن يجمعني الله

بها في الأخرة.

أحبك كثيرا يا عصفورتي الصغيرة، أراك بعد عمر طويل مديد سعيد على خير.

المحب دائمًا والدك توفيق عزت"

طوَت وسام الرسالة، وأخرجت محتويات الصندوق وهى يكاد يُغشى عليها من المفاجأة والألم والسعادة كلها في وقت واحد، مفاجأة أنها اكتشفت مقدار حب والدها لها، وألم لما قاساه هذا الرجل المسكين طوال حياته وما عاناه وهو صامت، وسعادة لأنها اكتشفت أنه لم ينسَها كما كانت تظن، انسابت دموع وسام في هدوءٍ وهى تدعو بداخلها له ولأمها بالرحمة والغفران عندما رنَّ هاتفها المحمول لتجد إيهاب هو من يتصل بها ابتسمت وردت عليه سريعًا

-وسام انتي فين؟

-مش هتصدق أنا فين يا إيهاب حقيقى مش هتصدق.

تمت

الأناكوندا

الأناكوندا الخضراء أكبر الثعابين في العالم قاطبة، قد تعيش أفاع أخرى لفترة أطول، ولكن لا توجد ثعبان في العالم يُضاهي الأناكوندا في الوزن فيمكن لأضخم أنواعها أن تنمو لتصل إلى طول ٨ أمتار ووزن ٢٠٠ كيلوجرامًا.

وعينا الأناكوندا وفتحتا الأنف تقعان في الجزء العلوي من رأسها لكي تتمكن من التنفس ورؤية فريستها أثناء غوصها تحت الماء. وتعتبر الأنثى أكبر حجمًا من الذكر ومع أن الأناكوندا قد تتناول طعامها مرة أو مرتين في السنة إلا أنها تلتهم فريستها حية بادئة بالرأس ولأن فكيها مفصولان عن بعضهما البعض، فإنها يمكنها أن تلتهم فريسة أكبر منها بكثير.

وعلى الرغم من أن الأناكوندا الخضراء تشتهر بكونها مفترسة للإنسان، إلا أنها نادرًا ما تهاجم الإنسان. وتقتل الأناكوندا فرائسها بقوة العصر لا بالسم، والإمساك بإحداها يتطلب شخصين على الأقل والكثير من المهارة. والمهم عند الإمساك بها أن لا تسمح لها بتكوين حلقة حولك.

موسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة

المؤلفة في سطور

هالة الملوانى

كاتبة مصرية خريجة أداب قسم لغة فرنسية جامعة القاهرة عام ٢٠٠٨ ، عملت في عدة وظائف مختلفة في مجالات عدة لكن ظلت الكتابة هي الأمنية الوحيدة التى حلمت بتحقيق النجاح بها، لها عدة مؤلفات إلكترونية مثل: - نغمات أدبية بنكهة نسائية (كتيب أقوال أدبية)

-الغرفة السرية (رواية).

وصدر لها رواية عام ٢٠١٤ مطبوعة وهى "الخديعة"

وتعد "اناكوندا" أول عمل تتعاون فيه الكاتبة مع دار إبداع للنشر والتوزيع

للتواصل معها عبر حسابها الخاص على موقع التواصل الأجتماعى الفيس بوك

https://www.facebook.com/hala.s.ahmed.9

اناكوندا
ANACONDA

يحملون جسدَها بعيدًا عني...

أنا من اكتشفت جثتَها ، أنا من أبلغت الشرطة كي تُنقذها ،

لكن سبقنا القدر جميعًا ، وتحولت في لحظةٍ لجثة هامدة ،

لا أعلم لماذا يريدون تشريحَها ؛ يُثرثرون بكلام لا أفهم معناه ،

مشاعري مضطربة ، دموعي متحجرة في محبسها ،

نَفَسي يأبى أن يُغادر رئتاي، خَارَت قُواي...

أري صورَ الجميع تمُوجُ أمامي، المشهد ضبابيٌ أمام عيني،

أشعر بدوار شديدٍ.

أين ذهب الجميع؟ أين أنا؟.....

أحمد مراد حواس عيسى

9 789777 790222

إبداع